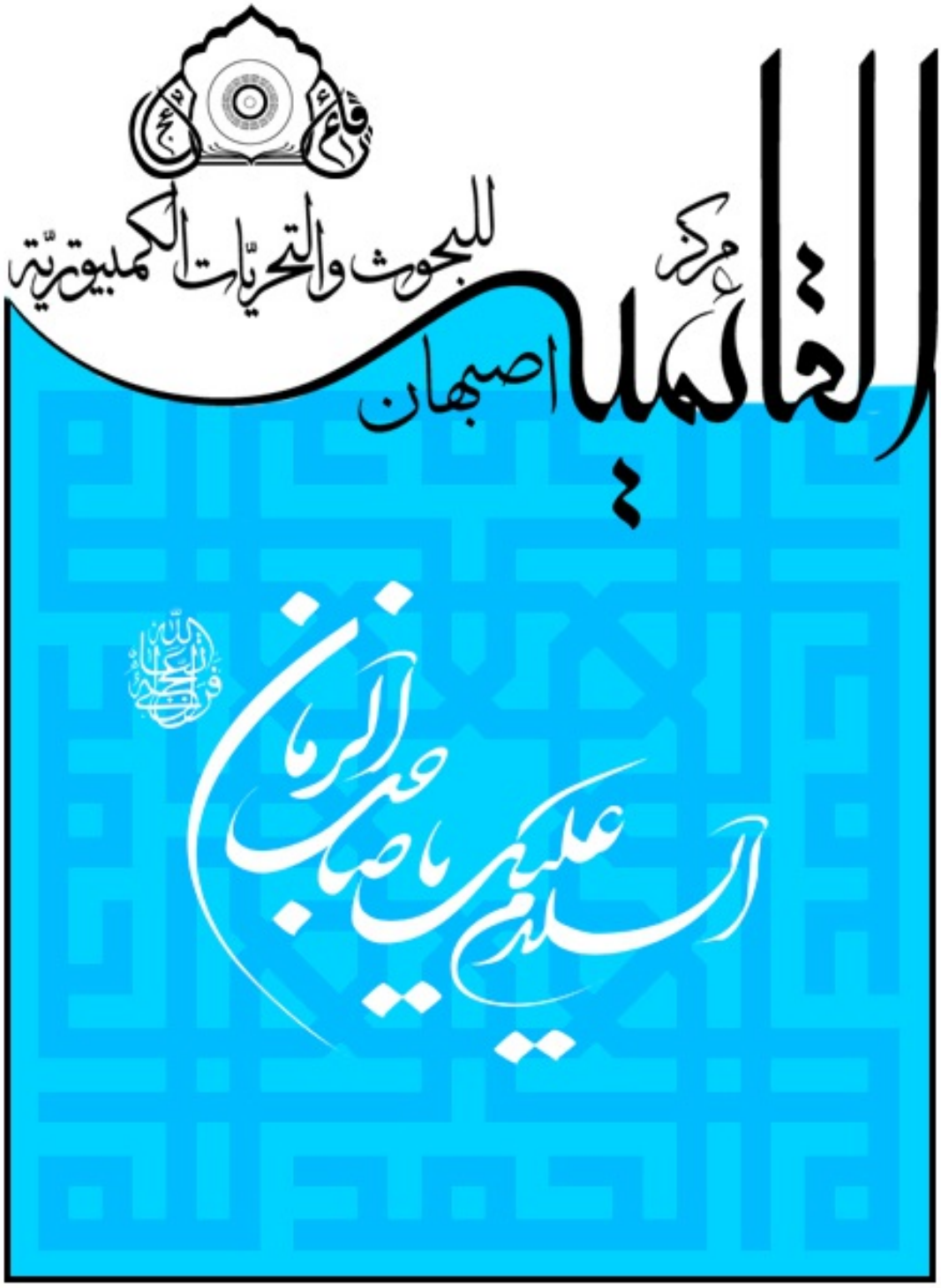

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

عاصفة الاسلام

اخرجونى الى صحن الدار

انظرفى ملكوت السماآ

كمال السيد .....

بسم الله الرحمن الرحيم

عاصفه السلام

كاتب:

كمال السيد

نشرت فى الطباعة:

انصاريان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
عاصفة السلام"اخرجونی الی صحن الدار انظر فی ملکوت السماآ" ----- ۹
اشارة ----- ۹
مقدمة ----- ۹
میلاد مدینة ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
النسیج الاجتماعی... شیء من التفصیل ----- ۱۶
دور الکوفة السیاسی ----- ۱۷
و مضات الماضی و أشعة المستقبل ----- ۱۹
ریاح الزمهریر ----- ۲۴
رحیل الأم ----- ۲۶
حکام الکوفة ----- ۲۷
الحصار الثانی ----- ۳۲
موقف امة ----- ۳۲
العهد الجدید ----- ۳۵
حوادث یوم السبت ۱۹ ذی الحجة ۳۵ ه ----- ۳۶
من هنا مر الشیطان ----- ۳۷
الطریق الی البصرة ----- ۴۰
العجل الجدید ----- ۴۱
حوار مع الاصفر ----- ۴۳
مشهد فی البصرة ----- ۴۳
العاصمة الجدیدة ----- ۴۴
بواعث انتخاب الکوفة عاصمة للاسلام ----- ۴۵

عود على بدء ---- ۴۸
ارهاصات الحرب ---- ۴۸
الحلف الدنس ---- ۴۹
الطريق الى صفين ---- ۵۲
طبول الحرب ---- ۵۳
النخيلة ---- ۵۳
الظامئون ---- ۵۵
على... المجد الأخلاقى ---- ۵۵
تقارير من قلب المعركة ---- ۵۶
فروسية ---- ۵۷
بدء الحرب الشاملة ---- ۵۸
الموت من اجل الخلود ---- ۶۰
الليلة الطويلة ---- ۶۰
مهزلة التحكيم ---- ۶۱
التاريخ يعيد نفسه ---- ۶۲
الأربعاء ۱۳ صفر سنة ۳۸ ه.مصرع حضارة ---- ۶۳
الكارثة ---- ۶۴
رياح الزمهرير ---- ۶۵
غارات الشتاء ---- ۶۶
موقف الامام ---- ۶۷
الخوارج ---- ۶۷
العودة الى صفين ---- ۶۷
غارات الزمهرير ---- ۶۸
الجمعة ۱۲ رمضان سنة ۴۰ ه ---- ۷۱

صفین... هاجس العودة ---- ۷۲
لیالی البرد ---- ۷۳
الخمیس ۱۸ رمضان ۴۰ هجری ---- ۷۳
اغتیال الشمس ---- ۷۳
همسات قبل الرحیل ---- ۷۴
حدیث مع الأجیال ---- ۷۶
نبوءات الزمن القادم ---- ۷۷
لیلة القدر ---- ۷۹
هبوب العاصفة ---- ۷۹
مبادرة السلام ---- ۸۱
عودة الی الوراء ---- ۸۲
صفیر العاصفة ---- ۸۵
ریاح الهزیمة ---- ۸۹
الخیار رقم صفر ---- ۹۳
لماذا یا سبط النبی ---- ۹۷
وداعا أرض السواد ---- ۹۹
ملحقات ---- ۱۰۰
النص الکامل لرسالة الامام الحسن الی معاویة ---- ۱۰۰
مذکرة الامام الحسن ---- ۱۰۱
اشاره ---- ۱۰۱
جواب معاویة ---- ۱۰۲
النص الکامل لوثیقة السلام ---- ۱۰۳
رسالة عبدالله بن عباس للامام الحسن ---- ۱۰۳
پاورقی ---- ۱۰۴

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۱۶

عاصفة السلام"اخرجونی الی صحن الدار انظر فی ملکوت السماآ"

اشارة

سرشناسه : سید، کمال، - ۱۳۳۶

عنوان و نام پدیدآور : عاصفه السلام" اخرجونی الی صحن الدار انظر فی ملکوت السماآ/ "کمال السید

مشخصات نشر : قم: انصاریان، ۱۳۸۱.

مشخصات ظاهری : ۲۳۸ص

شابک : ۹۶۴-۴۳۸-۳۶۶-۴ ؛ ۹۶۴-۴۳۸-۳۶۶-۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ دوم: ۱۴۲۴ق. = ۲۰۰۳م. = ۱۳۸۲

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : حسن‌بن علی(ع)، امام دوم، ۵۰ - ۳ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : حسن‌بن علی(ع)، امام دوم، ۵۰ - ۳ق. -- صلح با معاویه

رده بندی کنگره : BP۴۰/س۸۶ع۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۱۹۴۱۶

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحیم

یمکن القول ان المجتمع الاسلامی فی ذلک المقطع التاریخی (۴۰-۳۸) ه.قد انتخب معاویة نفسیا و أقصد بهذا الانتخاب انه وجد نفسه یفکر بطریقة ابتعدت به عن الاصالة فی التفکیر الاسلامی.

و لذا وفق التقسیم الحضاری للتاریخ الاسلامی أو التقسیم التاریخی لمسار الحضارة الاسلامی و فی ضوء مخطط المفکر الجزائری الراحل مالک بن نبی فی تفسیر الحضارة الاسلامیة حیث یشیر الی ثلاث مراحل مرت بها الحضارة الروح - العقل - الغریزة.

تعد سنة ۳۸ ه.و هی سنة اندلاع حرب صفین بأنها نقطة منعطف حاد فی المسار الحضاری للاسلام حیث اتجه المجمع الاسلامی بعدها نحو السقوط.

بل انه اعتبر المرحلة الاستعماریة و سقوط المجمع الاسلامی فی براثن الاستعمار نتیجة لما حصل فی صفین.

و یقول بن نبی ان المجتمع الاسلامی عاش التردد فی الاختیار..

الاختیار الحسم بین علی و معاویة بین المدینة و دمشق الحکم الدیمقراطی و الحکم الدکتاتوری الفردی و لکن المجتمع الاسلامی و مع

[صفحه ۸]

الأسف اختار الطريق الذى يؤدى به الى القابلية للاستعمار ثم الاستعمار.

من هنا يمكن أن نقيم خطوة الامام الحسن فى التأسيس لحالة من السلام كانت ضرورية من أجل أن يكتشف العالم الاسلامى نتائج انتخابه و ارادته...

ثم ظهرت ملحمة عاشوراء الانسانية لتدخل بزخم حضارى قوى جدا بعد أن دخلت بزخم انسانى هائل فهى حدث انسانى عالمى و لعلنا نستطيع أن نفسر هنا الحديث الشريف: «حسين منى و أنا من حسين».

وورد فى المقاتل: ان الامام الحسين رأى جده يخاطبه يا بنى ان لك درجة فى الجنة مغشاة بنور الله لا تبلغها الا بالشهادة.

فعاشوراء بلورت الضمير الاسلامى و الانسانى و عبأته بقوة روحية و أضحى الحسين رمزا انسانيا خالدا و ملهما.

و قد اشتهرت مقولات المهاتما غاندى و نقل عنه قوله: استقيت صبرى من صبر الحسين، و علمنى الحسين كيف أكون مظلوما فانتصر.

ان التحليل وفق المنهج الرياضى لن ينهض فى تفسير حركة الحسين عليه‌السلام و لن يستطيع وفقا لأدواته أن يحيط بهذه الخطوة الانسانية المدهشة و التى تعد اذا حللت وفق المنهج السياسى البحت حركة جنونية غير محسوبة النتائج.

[صفحه ۹]

و لكن الامام الحسين كان يتحرك وفق المنهج الالهى منهج النبوات و الرسالات الالهية، و بعبارة واحدة أنه كان مبهورا بالعشق الالهى هذا العشق الذى دفعه لافتداء الانسانية و تحريرها من أسر الغرائزية و أطواق المادة المثقلة بالطين و الأدران.

تركت الخلق طرا فى هواكا

أيتمت العيال لكى أراكا

فلو قطعتنى بالحرب اربا

لما مال الفؤاد الى سواكا

و نحن نقرأ دعاء عرفات لنجد هياما بالذات الالهية يصل حد الذوبان و التاريخ يرسم مشهدا أخاذا للحسين و هو يمد يده باتجاه الكعبة من على سفح عرفات كهيئة المسكين و يسجل التاريخ كلمات مدهشة.

«كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك؟!

متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك؟!

و متى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك؟!

عميت عين لاتراك»

«ماذا فقد من وجدك؟! و ماذا وجد من فقدك؟!

و ما قيمة أن يربح الانسان العالم كله و يخسر نفسه

فى رواية الشيخ و البحر للروائى الامريكى همنغواى و فكرتها

[صفحه ۱۰]

الاساسية: من الممكن تحطيم الانسان و لكن من المستحيل هزيمته.

تتجلى هـذه المقولة فى رض الخيول صدر الحسين و تمزيق الجسد الطاهر و لكن الحسين ما يزال المنتصر على مر التاريخ و ما يزال يقاتل.

هناك مسألة الوعى و الارادة و نحن نعرف ان مسألة الظلم تحتاج الى بحث فليس كل الأقوام تعشر بوقع الظلم و الشواهد كثيرة بعض الشعوب تستسيغ الظلم بسبب من فلسفتها يعنى هناك مبررات كافية لامتصاص هذا الشعور من قبيل انها مشيئة الله...ارادة الله...

اذن وجود الظلم وحده لايكفى كمبرر وحيد للثورة.

و انما الشعور بالظلم ثم تأتى مسألة الارادة ربما يحصل وعى بالظلم و فداحته و لكن تغيب الارادة لاسباب منها الخوف الذى هو ناشى ء عن حب الـدنيا..فالتضـحية تحتاج الى تجاوز حب الدنيا و ليس من المصادفات أن آخر محاولات الامام الشـهيد الصدر جاءت ادانة لحب الدنيا.

«ما هى الدنيا؟ مجموعة من الأوهام لكن دنيانا أكثر و هما من دنيا الآخرون».

هناك مسألة ينبغى الالتفات اليها و هى امكانية التأسيس الصوفى اذا صح التعبير الى جانب امكانية التأسيس السياسى.

فهناك نص موثق يقول: انما خرجت لطلب الاصلاح فى أمة

[صفحه ۱۱]

جـدى أريـد أن آمر بالمعروف و انهى عن المنكر فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق و من رد على ذلك أصبر حتى يحكم الله و الله خيرالحاكمين.

فيما نجد نصا آخر يقول: كان بأوصالى تقطعها العسلان بين النواويس و كربلاء.شاء الله أن يرانى قتيلا و شاء الله أن يراهن سبايا

و قد تحولت هذه المسألة أعنى علم الامام بمصيره الى مسألة كلامية أكثر منها تاريخية.

«ان لك فى الجنة درجة مغشاة بنور الله لا تنالها الا بالشهادة.

رأيت جدى فى منامى و قد أمرنى بأمر و أنا ماض لأمره»

و اذا كانت صـفين تعنى سـقوطا حضاريا و تغيرا فى الاتجاه النفسـى للمجتمع الاسـلامى فان صعود يزيد يكشف عن تغير جوهرى فى الذهنية الاسلامية و انفصالا مريعا بين الارادة و الوعى.

هذا التغير الذهنى لن يدع فرصة للصبر و لا مبررا للتقية بل يستدعى المواجهة السريعة مهما كلف الثمن.

«أود لو غرقت فى دمى الى القرار و أحمل العبء مع البشر ان موتى انتصار».

لقد عمل معاوية بعد انتصاره على ترسيخ ثلاثة مفاهيم كبلت أو شوهت التفكير الحر و الأصيل.

[صفحه ۱۲]

مفهوم طاعة الأئمة، لزوم الجماعة، حرمة نقض لابيعة و هذه المفاهيم جميعا و اجهها الامام الحسين باسلوب انسانى مدهش و استطاع الحاق الهزيمة بها و لكن بثمن باهظ جدا.

من هنا نقول أن الدين حسينى البقاء.

هذه المفاهيم هى الاعمدة التى نهضت عليها الخلافة الاموية بعد أن تم افراغها من معانيها الحقيقة.

ألا ترون أن الحق لا يعمل به و أن الباطل لا يتناهى عنه

ان السنة قد أميتت و ان البدعة قد أحييت

اصبحت طاعة الامام تعنى الانقياد الى الجهاز الحاكم و حتى لو تمادى فى الظلم بينما التفكير الأصيل يستدعى وضع الامام فى شروطه الخاصة و ظروفه الطبيعية كاشتراط العدالة فيه أو توفر عنصر العدالة فيه.

و هكذا بالنسبة الى تعزيز الجماعة الى أى مدى يستمر و هل سيكون مسوغا فى حالة وجود نظام دكتاتورى مستبد غاشم؟

و هل يعد كل صوت يرتفع بالاعتراض على هذا اللون من الحكم اقداما يهدد وحدة الجماعة؟

ثم يأتى المفهوم الثالث الذى يقضى بحرمة نقض البيعة و نحن نعرف ان البيعة يجب أن تكون فى ظروف طبيعية باعتبارها عهدا قلبيا و وجدانيا فاذا أخذت البيعة بالقوة فأنها حينئذ تفقد شرعيتها

[صفحه ۱۳]

و شروطها القانونية.

عائشة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم تمثل مركزا ثقافية وزنه فى حوارها مع معاوية بعد أخذ البيعة ليزيد و اجهها بالسؤال الاستنكارى التالى:

- أترضين أن يخلع الناس عهودهم.

- لا أرضى ذلك و لكن عليك بالرفق و التأنى.

فيما يخص الطاعة فهى أن تكون بالرفق.

وكانت صيحات قائد الجناح الايمن فى جيش الدولة تهدر فى ساحة المعركة يوم عاشوراء.

الزموا طاعتكم و جماعتكم و لا ترتابوا فى قتل من مرق عن الدين و خالف الامام...

والى مدة ليس قصيرة اعتبر الامام الحسين خارجا على الشرعية.

و نجد التفكير الدينى ينحرف بطريقة مقلقة عندما يقول معاوية ان بيعة يزيد قضاء و ليس للقضاء الخيرة من أمرهم أى أنه قدر الهى.

غير ان حركة الحسين بزخمهاالاخلاقى اضحت مركز اشعاع داخل الفكر و الضمير الاسلامى و ستجد أن انعكاساتها لدى المتلقى تابعة الى طبيعة تكوينة فبينما تفوح الورود بالعبير تحت اشعة الشمس، تموت الجراثيم.

[صفحه ۱۴]

(ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) أو هو (رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين الا خسارا).

عاشوراء ينطوى على خطاب انسانى خالد مكنه من مواكبة التاريخ و سيواكب الزمن الى ما شاء الله.

و بالرغم منان الاشععات الاولى للثورة عكست جانبها المأساوى الذى فجر مكامن الحزن واسال الدموع حيث نجد آثار الثورة فى كتب ارتدت حلة الحزن فكانت تؤلف و هى تحمل هذه الأسماء التى تنطوى على مضمون الحزن و الدموع «مثير الاحزان» «اللهوف» «طوفان البكاء» و «محيط البكاء».

فيما نرى العصر الحديث يكتب عن الامام الحسين؛ فلسفة «الثورة لدى الامام الحسين» ثورة الحسين «ملحمة الحسين» الدم أقوى من

السيف.

مع أن الامام الحسين و منذ البداية يؤكد على رمزية الصراع فلم يكن هناك صراع شخصى أو حتى صراع يرتبط بمقطع تاريخى و ظروف خاصة و انما كان الامام يستخدم هذا التعبير خاصة من حادثة القصر فى المدينة المنورة: «انا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و يزيد رجل فاسق معلن بالفسق و مثلى لا يبايع مثله».

فالامام الحسين يحاول أن يؤسس لشرعية الثورة و مواجهة وضع يشبه مثل وضع يزيد، كما يرمز الى امكانية الاستلهام لأى

[صفحه ۱۵]

انسان تنبض فى ضميره بواعث الثورة لأن يقوم بخطوة تشبه الى حد كبير خطوة الامام الحسين ثم لا يعد ذلك القاء فى التهكلة أو جنونا أو انتحارا.

كالتجربة التى حدثت فى سنة ۱۹۸۰ و كان بطلها الامام الشهيد محمد باقر الصدر الذى استشهد فى ظروف عراقية مشابهة للمشهد العراقى فى السنوات (۶۰-۵۰) ه.

فالكوفة هى أحد العراقين.

قد عرفت فى وقت مبكر جدا مركزا للتشيع و قاعدة لابن الزبير اضافة الى وجود طبقة تؤيد الامويين.

والكوفة هى التى حسمت مسألة الناكثين فى حرب الجمل سنة ۳۶ ه هى نفسها التى أو جدت كارثة التحكيم من خلال تمرد قطاع واسع من الجيش العراقى ثم نجد أسوأ من ذلك فى صراع الامام الحسن مع معاوية و دخول الأخير الكوفة فاتحا و تصل المأساة ذروتها فى فاجعة كربلاء.

واعقب ذلك ظهور التوابين فى ثورة استشهادية فريدة.

ثم ثورة المختار فيما بعد.

و هذه المواقف المتناقضة تعود فى الواقع الى طبيعة النسيج العالم الذى يكون المدينة.

فالكوفة تتألف من نسيج قبلى اضافة الى تنوع فى الاتجاهات

[صفحه ۱۶]

السياسة و المذهبية: الخوارج، الأشراف (و هم محسوبون على بنى‌أمية) و الشيعة من فدائين اهل البيت عليهم‌السلام أو مجرد أنصار سياسيين.

و لذا نجد انطلاق صوتين قويين أحدهما يمجد أهل البيت و آخر يتحمس لقتلهم و النسيج القبلى المتباين المواقف التى تأخذ بنظر الاعتبار مصالح القبيلة قبل كل شى ء أثر سلبا على حالة الانسجام و التضامن فى المدينة و نجد هذا التحليل فى الارشاد للمفيد عندما يتطرق الى ظروف الامام الحسين عليه‌السلام.

فالامام الحسن وجه نفسه أمام شيعة والده مسؤلا- و وجد الخوارج يشحذون السيوف لخوض الحرب ضد معاوية و لذا نجدهم يتجمعون حوله عندما كان الامام يستعد للحرب و هناك فريق لاهم له سوى جمع الغنائم اضافة الى شرائح واسعة من سكان المدينة تعيش فى حيرة من أمرها و لاتدرى ماذا تفعل كما لاننسى وجود أفراد يتلقون مواقفهم من زعماء القبائل فقط.

ويجب الاشارة الى أولئك الذين كانوا لا هم لهم سوى جمع الغنائم فهؤلاء كانوا يؤلفون شبه أغلبية و قد حصلوا اثناء موجة الفتوح

على غنائم وفيرة وفرت لهم عيشة رغيدة بدأ تنحسر مع وصول الامام على الكوفة و خوضه ثلاثة حروب داخلية و لذا كانوا ينظرون اليه باستياء و هذه الحقيقة صرح بها الامام الحسن عليه‌السلام فى أحدى خطبه.

[صفحه ۱۷]

و لذا تبلور قرار السلام والصلح مع معاوية فى أذهانهم بعد حرب النهروان و قد استغل معاوية هذا التوجه على أحسن وجه.

و هناك ما ينبغى الاشارة اليه و هو أن مدينة الكوفة اكتسبت ثقلا سياسا من خلال ما افرزته حركة الفتوحات و الانتصارات الباهرة و القضاء على‌أكبر امبراطورية فى الشرق، و لذا نجد هذه المدينة تمارس حالة من الهيمنة فى القرار السياسى و تفرضه على المدينة المنورة.

و قد طبعت السذاجة فى التفكير مواقف هذه المدينة التى ظهرت فى بعض الاحيان مغلوبة على أمرها فكانت حركتها السياسية منفعلة تتخذ القرار بسرعة بسبب حساسيتها، لكنها سرعان ما تتراجع و تنقع بما يقال لها، و تستلم ثم سرعان ما تثور.

و نجد هذا واضحا فى الفترة التى يصل فيها مسلم بن عقيل و حتى تصفيته.

فعمار بن ياسر لم ينجح فى ادارة الكوفة بسبب صفائه و اخلاقه و سعد بن أبى وقاص و هو شخصية غير سياسية اخفق هو الآخر لكننا سنجد المغيرة بن شعبة الفاجر على تعبير عمر بن الخطاب يستمر فى حكم المدينة مدة طويلة نسبيا.

و سنجد الامام على يواجه صعوبات فى حكم الكوفة مركز الخلافة ثم يصرح بانه يعرف الطريق لكنه لا يريد اصلاح الكوفة

[صفحه ۱۸]

بفساد نفسه.

ايتها الفرقة التى اذا امرأت لم تطع و اذا دعوت لم تجب...لله أنتم أما دين يجمعكم أما حمية تشحذكم؟

و لذا يمكن القول ان محنة الامام الحسن انما هى استمرار لمحنة والده العظيم و ان مجده عليه‌السلام يكمن فى صيانته لوحدة الامة الاسلامية و منحها فرصة لتختبر نفسها تجربة الخط الأوى و تناول ثماره المرة القاتلة و من ثم العودة الى الذات الى صاغها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى ضلال عترته الطاهرة.

و أخيرا فان خطوة الامام الحسن فى ظروفه لا تقل تضحية عن خطوة شقيقه بعد عشرين سنة كما ان كلا الخطوتين تتكاملان فى طريق انقاذ الحضارة الاسلامية من الأفول الأبدى.

كمال السيد

[صفحه ۱۹]

ميلاد مدينة

اشاره

فى عام ۱۷ ه كانت الجيوش الاسلامية فى الشرق قد استكملت فتح المدائن عاصمة الساسانيين مدة أف عام على شواطى دجلة بل و استكملت فتح العراق الذى يقع فى الاقليم الثالث بحسب التقسيم الجغرافى القديم. [۱] .

و أملت الضرورات العسكرية و اسباب أخرى بناء قاعدة حربية تكون منطلقا لادامة حركة الفتح الاسلامى ترتبط مباشرة بالمدينة المنورة عاصمة الدولة الاسلامية و بناء على شكوى من القائد امام للقوات الاسلامية فى الجبهة من وخومة البلاد و اثرها السلبى على الاستعداد القتالى للجنود العرب بسبب طبيعتهم الصحراوية برزت الحاجة الى انتخاب مكان آخر.

و جاء جواب الخليفة الثانى: «ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان: فابعث سلمان رائدا و حذيفة - و كانا رائدى الجيش - فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بينى و بينكم فيه بحر ولا جسر» [۲] .

[صفحه ۲۰]

و قد كان سعد بن أبى‌وقاص القائد العام قد فكر فى اتخاذ المدائن قاعدة لقواته ثم تراجع عن ذلك بعد أن رأى و خومتها و وخومة دجلة التى لم تكن تتناسب الجنود العرب اضافة الى كثرة زوابعها التى تثير الغبار و انتشار الذباب [۳] .

و عندما انطلق سلمان و حذيفة كلا من جهة بحثا عن مكان مناسب التقيا فيما بعد فى منطلقة الكوفة و لم تكن انذاك سوى فلاة متاخمة للصحراء و بها ثلاثة أديرة فقط. [۴] .

و لكن المصادر التاريخية أيضا لاتكتفى بحصر الهدف من بناء الكوفة أن تكون مجرد قاعدة عسكرية و منطلقا للفتوح بل و اتخاذها داراالهجرة يقطنها المسلمون برغبتهم.

و هكذا بدأ البناء فى المسجد اولا مركزا للمدينة الجديدة و من المركز انطلقت أربعة سهام من أحد الرماة المشهورين لتكون الجهات الاربعة حدودا للمسجد و قد حددت منابت الهام بخندق حتى لا يقتحمه أحد ببناء.

و قد بنتيت منازل المدينة ابتداء بالقصب و لكن الحريق الذى التهم ۸۰ كوخا دفع السكان الى بناء منازل جديدة من الطين و جاءت موافقة العاصمة على ذلك.

[صفحه ۲۱]

أما الطرق الكبرى فى المدينة فكانت بعضها بعرض أربعين ذراعا و بعضها ثلاثين ذراعا و عشرين ذراعا فيما كانت الازقة على نسق واحد و بعرض سبعة أذرع.

و كانت الطرق بمثابة حدود للمناطق السكنية التى توزعتها القبائل العربية التى تشكل مجموع ا لجيش الاسلامى آنذاك.

و فى غضون فترة وجيزة ظهر قصر سعد الى جانب المسجد و قد نقلت صخوره من الحيرة من ابنية الاكاسرة و الاثار الباقية.

و عدد الطرق الكبرى خمسة عشر طريقا تنتهى جميعا الى المسجد ما بين الطرق الكبرى هذه استوطنت القبائل العربية كما يلى:

المنطقة المتاخمة لصحن المسجد سكنت قبيلتا سليم و ثقيف ثم همدان و بجيلة و تيم اللات و تغلب.

و ما يلى القبلة استقر بنو أسد و النخع ثم كندة و الأزد و نزل فى شرق الصحن الانصار، و مزينة و تميم و محارب.

و على غربى الصحن بجالة وبجلة وجديلة من القبائل ثم جهينة و لم يكن لصحن المسجد سور أما الأسواق فكانت مجرد ميادين خالية من البناء و كان القانون الذى سنه الخليفة الثانى يقضى بأن تكون «الاسواق على سنة المساجد من سبق الى معقد

[صفحه ۲۲]

فهو له حتى يقوم الى بيته أو يفرغ من بيعه» [۵] .

و هكـذا ولدت مدينة الكوفة و ظهرت فى الخارطة متاخمة للصـحراء و على مقربة من نهر الفرات ترتفع عن سـطح البحر ۲۲ مترا فهى مشـرفة على النجف ذلك الوادى المالـح، كما أنها ترتفع على المسـطحات المائيـة فى الجنوب العراقى أو ما عرف باسم بطائح العراق التى تنتهى فى البصرة.

و أرض الكوفة حصـباء رمالها حمراء خاصة فى الجهة التى يقع فيها مجسد السـهلة الذى يقع بدوره فى الشـمال الغربى من المدينة أما الجهة الغربية فقد تجمعت فيها رسوبات المياه الغرينية أو ما عرف باسم الملطاط. [۶] .

و قـد توفرت الكوفة على تضاريس متنوعة فهى على حدود الصـحراء من جهة و المسـطحات المائية و وفرة منابع المياه و ارتفاعها عن سطح البحر فالتقت هذه المظاهرة الطبيعية لتخلق لها مناخا طيبا جعل الكوفيين يتفاخرون به أمام البصـريين خاصة بعد الصـراع السياسى الذى أفرزته حرب الجمل الاهلية بل أننا سنجد مدرستين فى اللغة تتصارعان مدرسة الكوفة و مدرسة البصرة؛ سيبوبه و الكسائى.

[صفحه ۲۳]

و ليس هـذا مـدعاة للفخر بقـدر ما أفرزته المعارك الكبرى و الانتصارات الساحقـة التى حققتها الجيوش الاسـلامية المتقدمـة فمارك مثـل الجسـر و القادسـية واحتلال المـدائن و معارك نهاونـد و جلولاء جعلت من الكوفـة رقما صـعبا يحسب له ألف حساب و سـنجد الكوفيين فيما بعد يتدخلون فى كل الشؤون السياسـية و يتحكمون بقرارات العاصمة أو يؤثرون فيها بشكل قوى خاصة فى حقبة عثمان الخليفة الثالث.

النسيج الاجتماعى... شىء من التفصيل

من خلال السـياق السابق نعرف أن الشـريحة الهامـة و الرئيسـية لسـكان الكوفـة هى القبائل العربيـة المجاهدة و التى خرجت ظافرة من معركة القادسـية الحاسـمة فى معارك لافتح الاسـلامى اذ استـكملت فتح الأرض العراقيه.و لذا فاننا سـنشاهد سـبع مجاميع قبلية تقتسم جغرافية الكوفة و هو تقسيم عسكرى سيبقى معتمدا فى توزيع العطاء و الغنائم...

و لاسباب كثيرة حدثت تغييرات فى نفوذالقبائل فبينما يتنامى نفوذ بعضها يتراجع نفوذ البعض الآخذ و يذوب ثم يتلاشى.

حتى اذا تسـنم الامام على الخلافة.و اتخذ من هذه المدينة عاصـمة كبرى للبلاد حاول دمج القبائل و الغاء كل ما يفرق بينها و صـهرها فى بوتقة المجمع الاسلامى المتجانس فى الحقوق

[صفحه ۲۴]

والواجبات والحد من التعصب القبلى و عادات من قبيل الثأر و التفاخر القبلى و لكن سـيف الخوارج المسـموم أوقف السعى الحثيث و المخلص لذلك الانسان العظيم.

و يأتى بعـد العرب الايرانيون بتشـكيلاتهم المتنوعـة و اليهم يعود الفضل فى اضـفاء الطابع المـدنى على الكوفـة و من دونهم تسـتحيل الكوفة الى مجرد قاعدة عسكرية أو ثكنة كبرى للجيوش المقاتلة فى الجبهة الشرقية.

و النسيج الايرانى يتألف مما يلى:

أولا: الموالى و هم مجموع الشعب الايرانى الذى لم يواجه النقدم الاسلامى بالسلاح ولم يشترك فى أية مواجهة أو معركة و اعتنق الاسلام.

و بالرغم من بقاء بعضهم على دين الاجداد فاصبحوا من أهل الذمة و لكنهم سيذوبون شيئا فشيئا فى خضم الموالى بعد أن يعتنقوا دين الاسلام و يخلصوا له.و الموالى سوف يتوزعون ضمن شرائح المجتمع الاسلامى، كما يلى:

أ - أسرى الحرب: و هؤلاء كانوا عبيدا للفاتحين بحسب قوانين الحرب السائدة آنذاك و لكنهم سوف يستعيدون حريتهم بعد اعتناقهم الاسلام مع بقائهم ملزمين بالولاء للقبائل التى أسرتهم و هذه الشريحة هى التى تنتطبق عليها مفردة الموالى

[صفحه ۲۵]

بشكلها الحقوقى و القانونى.

ب - الفلاحون و القرويون من الذين تهدمت قراهم أثناء الحرب فنزحوا الى الكوفة للبحث عن عمل فى هذه المدينة الناشئة.

ج - الحرفيون و الصناعيون و يشكلون مجموعة كبيرة جاءت الى الكوفة و هى تعلم حاجات المدينة التى بدأت تتشكل الى مختلف الصناعات الحرفية.

د- الاساورة وهم فرق عسكرية ليس ايرانية شكلها «يزدجر» و جاء بها من السند و معظمهم من الفرسان و قد انضمت الى هذه الفرق مجاميع من الايرانين حتى لم تعد مسألة العرق و القومية ذات بال لديهم.

و يمكن القول أنه الى عقود عديدة ظل العرب سادة الكوفة بالرغم من تنامى عدد السكان من غير العرب و لذا قد يرى العربى يخرج من بيته و حوله عشرة الى عشرين رجل من مواليه و اتباعه و لا ننسى و نحن نتحدث عن النسيج الاجتماعى الكوفة أن نشير الى الهنود النازحين من سومطرا أو الذين اجبروا زمن الدولة الساسانية على أداء وظائف عسكرية و استخدامهم دروعا بشرية ضد هجمات القراصنة على سواحل ايران الجنوبية.

و هؤلاء عوملوا فى زمن الفتح نفس معاملة الاساورة و اسندت اليهم مهمت امنية و هؤلاء عرفوا فى تاريخ الاسلام بالزط

[صفحه ۲۶]

و «السيابجة» و قد قطن بعضهم الكوفة و آخرون اختاروا «ذى قار» و انضم بعضهم الى الحشود العسكرية التى قادها الامام على الى البصرة لمواجهة التمرد فى البصرة سنة ۳۶ ه فيما عرف بالتاريخ بمعركة الجمل.

و قد اختار الزط التحالف مع بنى حنظلة و منهم من استوطن الكوفة و اسند اليهم الوالى عثمان بن حنيف حراسة خزائن الدولة و تعرضوا لمذبحة مروعة على يد عبدالله بن الزبير الذى نفذ غارة ليلية غادرة تم فيها قتل اربعين مع قائدهم و كان رجلا معروفا بالصلاح؟ [۷] .

و بالرغم من تحالف بعض الهنود هؤلاء مع قبائل تميم التى عادت الامام على و لكنهم اختاروا جبهة الامام فى الصراع [۸] و لعل هذا دفع معاوية الى ترحيل مجاميع منهم الى سواحل الشام ليصد بهم الغارات الرومية و يكون منهم درعا بشريا.

دور الكوفة السياسى

يمكن تشبيه العمل العسكرى فى عالم النفوذ و القوة بالعمل الزراعى الذى سيفرز فيما بعد أو فى الاثناء عملا سياسيا

[صفحه ۲۷]

و موسم لحصاد الامتيازات و الأدوار الفاعلة فى مسار العمل السياسى.

و قد تألقت الكوفة فى زمن الفتوحات الاسلامية و بلغت ذروة المجد، ليس فى التقدم فى الجبهة الشرقية و انما فى اغاثة و امداد الجبهة الغربية فى معارك الروم.

و يحق للكوفة اذن و قد قضت على دولة الساسانيين فى الشرق وامدت القوات الاسلامية التى تقاتل فى الغرب برجالها الاشداء لتحقيق انتصار ساحق فى تحرير مناطق شاسعة من سيطرة الروم اليزنطيين يحق لها أن تزهو بنفسها و يكون لها فى نفوس الجميع هيبة و شأن كبيرين.

و قد أدت الفتوحات الواسعة وانفتاح القبائل العربية على كنوز ايران الاسطورية و تدفق سيل الغنائم الى خلق طبقة مترفة هى الأشراف الذين ارتبطوا مصلحيا باستمرار حركة الفتوح و وجود نظام يحمى مصالحهم بالرغم من أنها منحتهم ثقلا سياسيا جعلت للكوفة حقا – كما تتصور – فى التدخل فى شؤون العاصمة كما تجلى ذلك فى الثورة على الخليفة الثالث.و من مظاهر هذه الثقل العسكرى و السياسى انها حسمت تمرد الناكثين فى البصرة كفعل ايجابى لكنها هى نفسها خلقت كارثة التحكيم.

و ضغطها على الامام على بوقف العمليات الحربية بينما كانت قوات الشرعية تتقدم نحو النصر النهائى بخطى واسعة.

[صفحه ۲۸]

و بالرغم من أن الكوفة عرفت فى زمن مبكر بأنها مركز للتشيع لكنها انطوت على مجموعة من التناقضات التى تصعد بها الى ذروة المجد و تهبط بها الى حضيض الانحطاط.

فقد قضت كما ذكرنا على تمرد الناكثين فى البصرة و لكنها خلقت كارثة التحكيم فى صفين، ثم اضطرت الامام الحسن فيما بعد الى التنازل عن الخلافة و اعقب ذلك مأساة عاشوراء و مصرع الامام الحسين، ثم نجد صحوة للضمير و عودة للارادة فى واقعة عين الوردة فيما عرف فى التاريخ بثورة التوابين ثم جاءت ثورة المختار.

و هذه المواقف المتناقضة تعود فى الحقيقة الى طبيعة النسيج العام الذى يؤلف مجتمع الكوفة.

فهى بشكل عام نسيج قبلى و بسبب بعض الحوادث ظهرت تيارات سياسية و مذهبية فاذا كانت البصرة عثمانية الولاء فان الكوفة عرفت بولائها لأهل البيت خاصة بعد قدوم الامام على خليفة و اتخاذها عاصمة للدولة الاسلامية ثم ظهر تيار الخوارج فى مقابل كتلة الأشراف الذى ارتبطوا بسبب مصالحهم بالاتجاه الاموى فيما تألقت شريحة قوية فى مجتمع الكوفة بسبب ولائها لأهل البيت.

و سنجد أن صوتين قويين يرتفعان فى الكوفة بنفس الوقت صوت يمجد أهل البيت و آخر يتمحس لقتلهم و بسبب هذا

[صفحه ۲۹]

التناقض فى الاتجاه و التفكير، تمزق النسيج العام للكوفة.

و ربما من السابق لآوانه أن نقول انا الامام الحسن وجد نفسه بعد مصرع والده مسؤولا امام الشيعة و مصيرهم فيما كان الخوارج

يشحذون سيوفهم للحرب مع معاوية و هم لم يبايعوا الامام الحسن خليفة و انما قائدا عسكريا فقط يحارب معاوية.

فيما كان فريق من أهل الكوفة لا هم له سوى جمع الغنائم اضافة الى قطاعات واسعة من السكان كانت تعيش فى حيرة من أمرها و لا تدرى ماذا تفعل اضافة الى و وجود أفراد كثيرين يتلقون الأوامر من زعماء قبائلهم فقط.

و هذه التشكيلة اللامتجانسة هى التى جعلت مواقف الكوفة تتذبذب بين السلبية و الايجابية اذ تبرز فى بعض المقاطع التاريخية أبية شامخة و فى بعض منعطفات التاريخ خائفة ذليلة فهى ليست راهبة قديسة و لا غانية لعوب و انما جعلتها الاقار مرآة يتجلى فيها سمو الانسان و تسافله...عروجه الى ذرى المجد و سقوطه فى هاوية الذل و الخنوع.

و مع أن الظروف التاريخية مثلا اثرت فى تغيير ولاء جارتها البصرة التى تتقاسم معها العراق [۹] اذ كانت عثمانية الاهواء ثم تبلور انتماؤها الجديد الى جهد المعتزلة؛ أما الكوفة فقد عرفت

[صفحه ۳۰]

كمركز من مراكز التشيع، بالرغم من عصف الظروف المريرة، مع التأكيد على نقطة حيوية أن التشيع الذى طبع الكوفة بطابعة كان سياسا الى حد كبير و فى هذا اختلاف عن التشيع الذى ينظر الى الأئمة من أهل البيت أئمة ارتضاهم الله قادة للناس بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

نتوقف عند هذا القدر لنسجل ان الكوفة مدينة ولدت فى مثل هذه الظروف التاريخية و سوف نكتشفها اكثر فاكثر لدى البدء بفصول الحوادث المزلزلة التى وصلت ذروتها فى الثورة على عثمان.

سينطلق الى المدينة المنورة و نحاول من هنا متابعة ما يمكن متابعته لرسم صورة واضحة لقصة الحرب و السلام مع الالتفات الى ضرورة تكوين ملامح عن شخصية انسان ولد مع موعد مع القدر سيقف فيه وحيدا مقهورا فى ليالى دامسة من تاريخ الاسلام...ليالى شهدت عواصف شديدة من الاطماع و الخنوع و الانشداد الى دنيا تافهة لا تساوى حذاء متهرئا فى نظر الاحرار [۱۰] .

و مضات الماضى و أشعة المستقبل

السماء ما تزال مرتبطة بالارض و شمس تضىء طريق الذين

[صفحه ۳۱]

هاجروا من ديارهم لتصحيح مسار العالم رسول من السماء هو جبريل ما يزال يحمل كلمات الله المضيئة و رسول الأرض محمد يشع قلبه بالايات...آيات الله...

التاريخ الهجرى ما يزال فى انطلاقته الكبرى و قد نصر الله عباده المؤمنين ببدر..ان شمس الاسلام تشع بالنور و الدف و رمال الجزيرة العربية على موعد لميلاد حضارة انسانية ستغمر العالم كله...لقد انقدحت الشرارة شرارة لروح الخالدة التى ستطهر الانسان من كل ما يدنس شرفه و مجده الانسانى..

اطل شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة و تألقت لياليه الحالمة..السماء تزخر بنجوم تشع من أغوارها السحيقة..و صفاء يغمر المدينة المنورة و قد طافت آيات القرآن بساتين النخيل و الاعناب...

فاطمة صائمة و الهلال اطل كابتسامة سماوية ينمو و جنين فى بطنها يتحرك يفيض بالحياة و الأمل و القلوب تنتظر كوكبا سيشرق

على الدنيا.

كبر الهلال و نما حتى اذا اصبح بدرا حانت لحظة المخاض و الميلاد...

و يشع الأمل فى بيت على و قد اطل على الدنيا صبى فى وجهه سيماء محمد.خف النبى الى منزل ابنته و صهره و البشرى تشع فوق جبينه..و هتف بأسماء و كانت فى منزل فاطمة:

[صفحه ۳۲]

- هاتى الى ابنى

و عندما سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن اسمه قال على:

- ما كنت لاسبق رسول‌الله

- سمه حسنا

كانت فاطمة سعيدة من أجل والدها لقد رأت الفرحة تطوف فوق محياه ولعله تذكر اللحظة التى قدمت فيها خديجة ابنتها اليه و يوم بشره جبريل بالكوثر.

و فى غرة شعبان من العام التالى ولد الحسين.

و ينشأ السبطان فى ظل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانا ريحانتاه من الدنيا، و انفحت عيونهما و قلباهما على التاريخ الهجرى بكل امجاده و فصوله المثيرة يتشربان آيات السماء و ثقافة الاسلام البلاغ الالهى الأخير و اذا كان الانسان ابن البيئة التى نشأ فيها فقد نشأ الحسين فى تربة طارهة فأبوه على سيد الأوصياء و امه فاطمة الزهراء سيدة النساء فلا عجب أن يضع الصبى خطاه فى طريق التكامل الانسانى الذى يبلغ بالانسان أعلى درجة ينشدها و يرنو اليها.

انظروا اليه انه يحث الخطى الى مسجد جده مع أخيه و شقيقه الحسين حتى اذا اجتازا على شيخ يتوضأ فلا يحسن الوضوء اذا به يتبادل نظرات ذات معنى مع أخيه و يفتعلا نزاعا صوريا و كل يقول لأخيه أنت لا تحسن الوضوء ثم يلتقتا الى

[صفحه ۳۳]

الشيخ قائلين أن أحكم بيننا أينا يتوضأ أحسن...و يتوضان أمامه بالطريقة يتوضأ بها جدهما و أبواهما و أدرك الشيخ الحقيقة فقال:

كلاكما تحسنان أما الذى لا يحسن الوضوء فهو أنا...انا الشيخ الجاهل.

و ان المرء يشعر بالدموع تتجمع فى عينيه شوقا اليهما..الى هذين السيدين انهما يعكسان ثقافة الامام فى اسلوب الدعوة و نشر المعرفة و الخير...

و قد وهب الله هذا الصبى المبارك ذاكرة حية جعلته يتشرب سيرة جده و كلماته و ما جاء به جبريل من السماء..

سمع جده ذات يوم يقول لرجل: «دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فان الشر ريبة و الخير طمأنينة» [۱۱] .

و تعلم من جده اذا سأله أحد حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول. [۱۲] .

أن مجد الحسن سوف يتألق من شجرة أصلها ثابت و فرعها فى السماء.

ان ايات الله ترسم لنا لوحة انسانية تشع جلالا و جمالا.أن أجر الرسالة المحمدية هو الحب..الحب لأهل البيت [۱۳] ،...قد

[صفحه ۳۴]

شهدت السماء بطهرم و نقائهم. [۱۴] .

فى حدود السنة السابعة للهجرة جاء وفد مسيحى مؤلف من ستين مسيحيا يتقدمهم العاقب (الزعيم السياسى) و الأسقف (الزعيم الدينى).

و دعا النبى ضيوفه القادمين من اليمن بلغة السماء: (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد الا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)

ان الحرية الحقيقة تكمن فقط فى العبودية لله و عندما يعبد الانسان غير الله فانه سوف ينسحق و يهبط الى الحضيض الى ما هو أدنى بكثير من الحيوانية.

و لكن الوفد لم يصغ الى كلمات الله و لم ينفك يردد أن يسوع هو ابن الرب فيما الحقيقة ان المسيح بن مريم لم يكن الا رسولا قد خلت من قبله الرسل و ان مثله مثل آدم خلق من الطين..

و هبط جبريل يحمل نداء السماء قائلا: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [۱۵] .

[صفحه ۳۵]

و اشرقت الشمس و خرج النبى فى موكب عجيب...كان يحمل سبطه الحسين و قد أخذ بيد سبطه الحسن و كانت فتاة تمشى مطرقة خلف والدها العظيم و كان زوجها يمشى خلفها.

وقف الاسقف مشدوها و هو ينظر الى وجوه مضيئة فى فلاة تمتد بامتداد الافق البعيد و كانت الحشود تراقب من بعيد ما يجرى.

و يجثو النبى صلى الله عليه وآله وسلم و خلفه اهل بيته و قال النبى مخاطبا اله الاطهار: اذا أنا دعوت فأمنوا.

تمتم الأسقف قائلا: جثا و الله كما يجثو الأنبياء.

و خاطب النصارى: انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله..انظروا الى الشمس..لقد تغير لونها و الأفق تنجح فيه السحب الداكنة، و الريح تهب هائجة سوداء حمراء و هذه الجبال يتصاعد فيها دخان..لقد أطل علينا العذاب...

انظروا الى الطير و هى تقىء حواصلها و الى الشجر كيف تتساقط أوراقها و الى الأرض كيف ترجف تحت اقدامنا..

و ينسحب الوفد فى اللحظات الأخيرة و قال النبى: و الذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران و لو لاعنوا لمسخوا قردة و خنازير و لا ضطرم عليهم الوادى نارا» [۱۶] .

ان لأهل هذا البيت مجدا أى مجد: مجدا خلده القرآن الكريم

[صفحه ۳۶]

فى سورة الانسان فعندما مرض الحسنان و جاء لعيادتهما النبى تحفه كوكبة من أصابه قالوا لعلى لو نذت لله أن عافى ولديك فنذر على صوم ثلاثة أيام شكر الله و تابعته الصديقة و جاريتها فضة...و لما أبل الصبيان من مرضهما و حان وقت الوفاء بالنذر انطلق على الى شمعون و كان رجلا من خيبر.خيبر التى فتحها على بسيفه و قلبه المفعم بايمان الرسالت الالهية جاء على الفاتح العظيم الى شمعون

يقترض منه ثلاثة أصواع من شعير، الرجل الذى اقتلع باب «القموص» و قهر خيبر جاء يطلب حفنة من الشعير و امرأته بنت محمد تملك «فدك».

قال شمعون وقد هزته المفاجأة: هذا هو الزهد الذى أخبرنا به موسى بن عمران فى التوراة...

طحنت فاطمة صاعا..الرحى تدور و فضة فتاة تعيش فى منزل فاطمة تجمع الدقيق و يصير الدقيق عجينا ثم يصير اقراصا لكل صائم قرص شعير...النجم المهيب يهوى باتجاه المغيب...

يرسل اشعة الوداع معلنا ختام يوم من حياة الانسان و الأرض..

الأسرة القائمة تستعد للافطار بسم الله...لقمة خبز تقيم أود الجسد الآدمى ليكمل رحلته باتجاه النور و ينطلق من وراء الحجرات هتاف انسان جائع:

- مسكين اطعمونى اطعمكم الله...

الصائم هو وحده الذى يدرك آلام الجياع فى اللحظات التى

[صفحه ۳۷]

تسبق الافطار تتلوى المعدة الخاوية تبحث عن شىء.

قدم الصائمون خبرهم و أفطروا على الماء و استأنفوا رحلة الجوع..

الجوع هو زاد المسافر فى ملكوت السموات..هناك تلال النور و بحيرات تزخر بالنجوم..الجوع هو وحده الذى يلجم الشيطان القابع فى الظلمات..

و يمر يوم آخر و الصائمون فى رحلة البحث عن ينابيع الأزلى....كل شىء يؤول الى الزوال الا الحب...الحب نداء الله الى النفوس البيضاء الطاهرة...

و يطرقهم يتيم...يالوعة اليتيم فى ساعة الغروب...الكائنات تعود الى أوكارها و الطيور تؤوب الى أعشاشها و الاطفال الى أحضان مفعمة بالدفى و الحنان...

فى ساعة الغروب تتجمع الدموع فى عيون اليتامى كسماوات مشحونة بالمطر...يتجمع البكاء فى القلب ثم يتصاعد عبر الشرايين الى العيون...فكيف اذا اجتمع الحزن مع الجوع...و هل تتحمل نفوس الاطفال البرد و الجوع!!

و نادى اليتيم فى لحظة الغروب الحزين:

- اطعمونى مما اطعمكم الله.

هناك فى اعماق النفوس البيضاء كنوز من اللذة أين منها لذائذ البطن..فكيف مع نفوس براها الجوع حتى تكاد تسطع

[صفحه ۳۸]

كالنجوم!

وهب الصائمون خبزهم..و يبيتون ليلتهم و قد استأنفوا رحلة الجوع..رحلة مضنية تكاد تحطم الجسد و تحيله الى حطام و لكن الروح تتوهج سطوعا حيث يشهد عالم الانسان اللانهائى انتصار الملائكة و هزيمة الشيطان الى الأبد.

السماء تراقب نفوسا فى الأرض تطوى مسافات الجوع وفاء للنذر فى اليوم الثالث ينادى أسير ينشد لقمة خبز أو تميرات الاجساد

الصائمة ترتعش امام الجوع...العيون غائرة و الوجود بدا مغمورا بالضباب و النفوس تشتد سطوعا و الورود تضوعا فاطمة تزداد نحولا..غارت عيناها و قد زاد صوتها و هنا على وهن هى قائمة تصلى فى المحراب.

فى منزل آخر الانبياء فى التاريخ هبط جبريل يحمل سورة الانسان على الانسان و انها: بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا

انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا.

انا هديناه السبيل اما شاكرا و اما كفورا

انا أعتدنا للكافرين سلاسلا و أغلالا و سعيرا

ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا

عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا

يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شره مستطيرا

[صفحه ۳۹]

و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا

انمان نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء و لاشكورا

انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا

فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نصرة و سرورا

و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا

ان هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا

و من المؤكد ان الانسان يعيش حالة من النعيم لاتوصف بعد انجاز أخلاقى كهذا..حالة تتسجد فى صورة جنة و رافة الضلال زاخرة بالاشجار الخضراء الزاهية و قد مدت عروقها فى كثبان من المسك، و الانهار المتلالئة المياه تتكسر امواجها الحانية عند جذوع الاشجار و نسائم ربيعية منعشة تداعب الاغصان فتصطفق الأوراق بصوت حالم...

و قد بدت كبائس اللؤلؤ الرطب فى ذرى الاغصان، و تبدت الثمار فى غلف الاكمام..و ظهرت قصور من الزبرجد متناثرة هنا و هناك كالاحجارالكريمة و فصوص الجواهر المتألقة...فيما كانت ينابيع السلسبيل تتدفق فيمتلا الفضاء بنداها و شذاها، و اطفال كاللؤلؤ يحملون كؤوسا فضية ملأى بالعسل المصفى...يتألقون نورا فى ربيع دائم لافيه شمس و لافيه زمهرير.

لقد نشأ الصبى الطاهر سبط محمد و نجل على فى أجواء ترفل فيها اجنحة الملائكة و تعطرت بكلمات يحملها جبريل من

[صفحه ۴۰]

أغوار السماوات و لقد تشرب الصبى شيئا ملأ كل وجوده و هو أن المجد الله وحده و عباده المؤمنين و أن على المرء أن يربح نفسه حتى لو خسر العالم كله و أن سمو الانسان و مجد الحياة بالكرامة الانسانية و ما عدا ذلك فأوهام و أباطيل.و كان انتماء الحسن الى جده أنتماء الغصن الى جذع شجرة شماء..يحمله جده على عاتقه و يقول: اللهم انى احبه فاحبه [۱۷] .

أو يحمله على رقبته حتى اذا قال له قائل نعم المركب ركبت يا غلام قال النبى و نعم الراكب هو و سمعه المسلمون يقول عنه: ان ابنى

هذا سيد. [۱۸] .

و يشمه ثم يقول: الحسن ريحانتى من الدنيا.

و حق لصبى مثل الحسن أن تمتلأ روحه بروح جده العظيم روح تسامت حتى بلغت مرتبة الكمال و استحالت الى شمس تضىء للانسانية و تغمر العالم بالنور و الدفء و الايمان.

رياح الزمهرير

فى الثالث و العشرين من صفر سنة ۱۱ ه ۶۳۲ م لزم رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم فراش المرض و تدهورت صحة النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد بدا يحث الخطى للرحيل الى الملكوت الأعلى و حل يوم الاثنين ۲۸ صفر.

[صفحه ۴۱]

و لعل هذه الأيام المريرة أول صدمة يتعرض لها الصبى الذى سيرث عن جد مجده و سؤدده و هيبته [۱۹] و كان يدرك عمق الفاجعة و هى تنعكس على وجه أمه الزهراء...

و عندما شعر أهل البيت ان ساعة الرحيل قد أزفت القى الحسن و أخوه بنفسيهما على جدهما و هما يشهقان بعبرة و يقبلان الجد الرحيم...و أراد على أن تنحيتها فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم بصوت واهن: دعهما يتمتعان منى و اتمتع منهما فستصيبهما بعدى اثره...

وحانت لحظة الرحيل و سمع الحسن و هو خارج الحجرة صوت والدته تهتف: «و أبتاه الى جبريل أنعاه».

و تدفقت الجماهير فى أزقة المدينة و شوارعها مذهولة للمصاب الكبير..لقد بدأ زمن الزمهرير.

و فيما كان أهل البيت مشغولين بتجهيز النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت عيون البعض ممن خطفت عقولهم الاطماع يجتمعون للاستيلاء على السلطة.

و ادراك الحسن من خلال ما يجرى حوله ان الدنيا لم تعد كما مضى و أن الزمن بدأ يتنكر لأهل النبى صلى الله عليه وآله وسلم..فحق له أن يشعر بالبرد و بمرارة اليتم و عمق الفاجعة و لعله بدأ ينظر الى الدنيا نظرة

[صفحه ۴۲]

فيها كثير من العمق والوعى أن أول صفاتها الغدر و عدم الوفاء...انها لاتفى لأحد أبدا.

فأبوه الذى كان بطل المعارك كلها و سيف الاسلام الذى لايقهر هو الآن جليس البيت محاصر من رجال كانوا بالامس يبتسمون له أما الآن فقد استحالت ابتساماتهم الكاذبة الى انياب يكشرون عنها بغيظ و حقد.

و أمه التى هى بضعة النبى و روحه التى بين جنبيه و سيدة النساء هى الآن تذوى كزهرة ربيعية و تخبو كشمعة فى قلب الليل الدامس...بكاؤها بكاء الشموع.

لقد رحل الأب الرحيم مخلفا فى قلوب الذين احبوه جراحا لن تندمل..

كان النبى الحضن الدافى و الضلال الوارفة فاذا الدنيا زمهرير و اذا الوجود ظلام فى ظلام.

و سمع الحسن أمه تقول لأنس: أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول‌الله التراب [۲۰] .

و كانت تشعر بالاختناق فتشم تراب الضريح المعطور و أريجه و شذاه [۲۱] .

[صفحه ۴۳]

و عندما لام البعض زوجها لأنه اشـتغل بتجهيز النبى و ترك الصـراع على الخلافة قالت: «ما صـنع أبو الحسن الا ما كان ينبغى له و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم» [۲۲] .

و على مدى عدة شـهور كان الحسن يعيش المأساة كلها فقد استحال بيتهم الى قلعة للمقاومة و كانت أمه تواجه غارات المغيرين و قد هتفت مرة بهم: يا أبابكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول‌الله؟! [۲۳] .

و لما اشـتد الحصار خرجت و أخذت معها الحسن و الحسين و أنطلقت الى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم تريد أن تواجه العاصفة بسلاح الانبياء..و الدعاء سلاح الانبياء.

و تبكى فاطمة المأساة..مأساة اغتصاب الحق فلقد أضحت الخلافة نهبا للطامعين و المغيرين. [۲۴] .

حتى فـدك اغتصـبها و هبت والـدته لخوض آخر معركـة، و شـهد الحسن تلك الطخبـة الرائعـة التى القتها والدتها فى مسـجد جده و ستظـل كلماتها خالـدة تـدوى فى فضاء التاريـخ و ضـمير الانسان: محمود هو الله من أجل ما أنعم على الانسان..وهبه نعمـة الحياة و له الشكر اذ قذف فى أعماقه العلم و المعرفة.

[صفحه ۴۴]

و قد عمت نعمه سبحانه حتى لايمكن لأحد أن يعدها أو يحصيها بل لايمكن أن يدركها أو يحيط بها علما...

جعل الشكر لها زيادة و بركة و نماء و ازدهارا..

و شهادة له سبحانه أنه واحد أحد مطلق لانهائى..شهادة تضى ء القلب و الفكر و الضمير...

تعجز الابصار عن رؤيته ويكل الخيال عن تصوره و الكلمات عن وصفه.

خلق الاشياء و لم تكن و لاحاجة له فيما خلق الا ان تتجلى حكمته فتخشع و تظهر قدرته فنخضع..

تبارك ربنا عالما بالنهايات..محيطا بحوادث الأزمنة القادمة و مخاضات الأيام..

و كانت الارض فيما مضـى ظلمات يتراكم بعضـها فوق بعض و الأقوام البشـرية ضائعة تائهة..تخشع للنار اذ تتطاير شررا و تعكف على أوثان منحوتة من حجر و صخور..و اذا الله الذى أودع اسمه فى الضمير و الفطرة و فى عقل الانسان...الخالق الذى لايعبد.

حتى اشرقت شمسم محمد فتمزقت حجب الظلمات و تدفقت النيابيع فى القلوب...ينابيع الايمان و الأمل.

و سعد الناس جميعا فقد ارضى الطريق الى الله.

و لم يرحل أبى حتى ترك عند أمته ميراث السماء...قرآن فيه آيات بينات تضى الطريق...شريعة الله و منهاجه.

[صفحه ۴۵]

فالايمان طهر من رجس الأوثان...و الصلاة تغسل قلب الانسان من التكبر و الزكاة نمو وازدهار و الصيام تجذير للأخلاص فى القلب و الحج صرح تنهض فوقه معانى الأديان

و العدالة انسجام للقلوب و آصرة بين النفوس، و طاعة أهل البيت نظام شامل للحياة و الاعتراف بامامتهم و قيادتهم أمان من التمزق و التشرذم و الضياع.

و الجهاد سور للاسلام والصبر سلاح فى المقاومة...مقاومة صروف الحياة و عادبات الزمن.

فيا أيها الناس أعلموا انى فاطمة و أبى محمد كلمتى واحدة ثابتة..من الخطيئة فى منأى و عن الشطط فى مأمن.

و يستمر صوت الزهراء فاطمة مدويا يضع النقاط على الحروف فتشرق شمس الحق..و ستبقى كلماتها الثائرة فى مسجد أبيها الراحل تستفهم التاريخ و الانسان.

و تعود أم الحسن الى بيتها مقهورة لقد قضى الأمر و لم يبق لها الا الصبر، و تقع عيناها على قميص والدها فتغرق فى طواياه و عوالمه حتى لاتشعر بما يجرى حولها ويرى أبوالحسن ذلك فيغيب القميص حتى لاتموت فاطمة. [۲۵] .

[صفحه ۴۶]

و يرى الحسن بكاء والدته و أبوه يعزيها قائلا: ما أعد الله لك خير مما قطع عنك فاحتسبى الله، فتقول أمه و هى تكفكف دمعة ساخنة: حسبى الله.

رحيل الأم

و يسدد القدر سهامه مرة أخرى ويرى الحسن والدته تذوى فهى تستعد للرحيل..و تذوى زهرة الحياة فى دنيا فاطمة و تشتد روحها سطوعا..ها هى تتأهب للسفر...و لم يعد أحد يراها تذهب الى البقيع فلقد ضعف الطين عن حمل الروح العظيم..

و جاءت نسوة من الانصار و المهاجرين لعيادتها والسوال عن صحتها فقلن لها: كيف اصبحت من علتك يا ابنة رسول‌الله؟

و لكن فاطمة تتحدث عن العلة الكبرى و الجراح النازفة فتدين عصرها الذى خذلها فخذل الحق و قهرها فقهر..

أعلنت فاطمة ادانتها لدنياهن..اعلنت غضبها من أولئك الذين قهروها و سوف لن يغسلوا العارى الذى الحق لهم بخذلان فاطمة؛ الذلى يعنى خذلان الحقيقة..و سوف تحصد الاجيال ما زرعه الاجداد و هل زرعوا الا الأشواك؟!

و كان رحيل الأم بعد أيام مريرة من المعاناة و القهر قد بلور فى عين الصبى الطاهر نظرة عميقة الغور الى الحياة الدنيا أنها لاتساوى شيئا و لاتستحق أن يضحى الانسان بجزء من قيمه

[صفحه ۴۷]

الأخلاقية والانسانية.

عندما عاد الحسنان الى البيت كانت السكينة تغمر المكان و كانت سلمى زوجة سيد الشهداء حمزة سألها الحسن: أين أمنا؟

و أشارت الى حجرة و هى تبكى..

كانت الأم مستغرقة فى نومة الرحيل الأبدى واضعة يدها تحت خدها و قد غادرت الروح أهاب جسد نحيل و كان الوجه الملائكى تحيطه هالة من النور.

و انطلق الحسن الى والده و كان فى المسجد و دخل مع أخيه و هما ينتحبان...قال بعضهم متسائلا: ما يبكيكما؟

قالا: ماتت أمنا فاطمة.

و لاشک أن هـذه الفجيعـة قـد اضاءت من مشاعر الصبى الـذى رأى فيما بعـد أن محنـة والده تتفاقم و انه اضـطر بعد ذلک الى البيعة بالقوة و الاكراه.

و لقـد نتج عن السـقيفة وجهة جديدة للتاريخ الاسـلامى و لم يكن لدى الامام على سوى الصـمت و الصبر فضل طيلة ربع قرن جليس بيته و لاهم له سوى وحدة الدولة السالامية ارضا و شعبا.

ان كل الدراسات الاجتماعية فى تلک الفترة تؤكد بان الامام كان مرجعا فكريا و قضائيا و انه ملأ فراغا كبيرا هذا الفراغ الذى نجم عن رحيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى الرفيق الأعلى.

[صفحه ۴۸]

لا نريد الاسترسال فى هذه الفترة لكننا نشـير الى أن الحسن قد بلغ مرحلة الشـباب فى زمن الخليفة الثانى و أن الأخير و ضـمن سياسـيه فى توزيع العطاء فرض للحسن و لأخيه عطاء البدريين و هو خمس آلاف درهم. [۲۶] .

و بعـد حادثـة الاغتيـال التى تعرض لهاالخليفـة الثانى تشـكل بأمر منه مجلس للتشاور فى مصـير الخلافـة و انتخاب أحـد أعضائه و هو مجلس شـكل بدقـة متناهية بحيث تفضـى المداولات الى انتخاب خليفة ينسـجم مع الوضع النفسـى الذى وصـلت اليه الامة الاسـلامية آنذاک، و ما يثير التساؤل أن الخليفة الثانى الزم فيما ألزم فى هذه التشكيلة حضور الحسن اجتماعات مجلس الشورى.

ولـذا فقـد عاش الشاب تجربـة أخرى من تجارب السياسـية و شـهد عن قرب ظهور الاطماع و التهافت على حطام الـدنيا و رأى موقف والده الثابت الذى لايرى فى الخلافة قيمة الا فى اطار المسؤولية و اقامة حكم الله و ما عد ذلک فهى لاتساوى عنده حذاء متهرئا. [۲۷] .

و عندما آلت الخلافة على عثمان بن عفان علق الأمام بأسى:

[صفحه ۴۹]

ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون.

و غادر المسجد و هو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فى الأعوام بين ۲۵ الى ۲۷ ه شارک الامام الحسن الذى اجتاز العشـرين بسنوات فى حركة الفتوح فى أفريقيا و شمال ايران و قد أورد المؤرخون ذلک لدى ذكرهم المناطق الجديدة التى فتحت على أيدى قوات الاسلام.

حكام الكوفة

من الأفضل أن نتحدث فى هذا الجانب على أساس أن الكوفة سوف يكون لها النصـيب الأوفر من الاهتمام و قد ذكرنا أن الكوفة التى تأسست فى سنة ۱۷ كان حاكمها هو القائد العام للجيوش الاسـلامية فى الشرق سعد بن أبىوقاص، و نظرا لبعض الشكاوى فقد أقصى عن الحكم بذريعة عدم كفائته السياسية و اسند المصنب الى عمار بن ياسر الذى لم يلبث فيه الا قليلا بسب نقائه و استقامته و طهره، و وقع اختيار عمر على المغيرة بن شعبة لأنه داهية فى السياسية لايتورع عن الغدر و الفجور و قد استمر فى حكومة الكوفة مدة طويلة الى أن جاء عثمان للخلافـة فاسـند حكومـة الكوفـة الى سـعد بن أبى وقاص ثم الى أخيه فى الرضاعـة الوليـد بن عقبـة و قد اشـتهر الأخير بانحرافاته الاخلاقية

[صفحه ۵۰]

و فسقه و كذبه [۲۸] .

و قصة شربه الخمر و سكره و أدائه صلاة الصبح سكران مشهورة فقد صلى أربع ركعات و التفت الى المصلين قائلا أتريدون المزيد؟!

و قد انبرى الصحابى الجليل عبد الله بن معسود فضربه بحذائه على وجهه وتطورت الحادثة الى ارسال و فد من سكان الكوفة يحمل خاتم الوليد للشهادة على ما فعله حاكم الكوفة و من المؤسف ان الخليفة قام بانتهار أعضاء الوفد و طردهم مما اضطرهم الى الاجتماع بالامام على و قد هب الأمام لتنفيذ حكم الله و تحمل مسؤوليته بالرغم من استياء الخليفة و ظل مشهد جلد الوالى الفاسق أمام أخيه الخليفة موقفا شجاعا فى ذات الهل لابد و أن الوفد الكوفى سيذكره باعتزاز:

و قد اضطرار عثمان الى اقصاء الوليد عن حكومة الكوفة و اسنادها الى آخر من أقاربه و هو سعيد بن العاص و كان شابا مترفا [۲۹] استخف بصحابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد اصطدم مع هاشم بن

[صفحه ۵۱]

عتبة الصحابى الجليل و عيره بعينه العوراء مع انها اصيبت فى معركة اليرموك الحاسمة و حدث الخلاف بسبب رؤية الهلال و قد اضطر الصحابى لها بناء على رؤيته و فطر الناس، فأمر الحاكم الجديد باعتقاله و ضربه كما أمر باضرام النار فى منزله فاحترقت الدار.

وقد كشر الامويون عن انيابهم فى الكوفة و كشفوا عن سياسة تتناقض مع مبادى الاسلام اذ أعلن الحاكم فى مناسبة من المناسبات بأن الكوفة و غيرها بستان القريش فنهض مالك الاشتر و رد عليه بقوة و كان هذه الحادثة بداية للحوادث المريرة التى أدت فيما بعد الى اعلان الثورة و مطالبة الخليفة بعزل الوالى و تنصيب وال آخر.

و قد اشتدت المحن فى الأعوام الأخيرة من خلافة عثمان الذكرى تنكر لرفاقه فى الجهاد و صب العذاب على بعضهم صبا و لم يرحم شيخوختم فكان لابى ذر النصيب الأوفر اذ توفى فى منفاه «الربذة» تلك المنطقة الصحراوية القاحلة فيما تعرض عبدالله بن مسعود الى الضرب المبرح فتوفى متأثرا بجراحه و نال عمار بن ياسر نصيبه من العذاب كما حاول نفى الامام على ثم تراجع بعد أن تلقى تحذيرات من تبعات هذه الخطوة المتهورة!

و على كل حال فقد تفاقمت الاوضاع سوء و كان مروان بن الحكم الذى يعد من أعداء الاسلام القدامى هو الخليفة الفعلى

[صفحه ۵۲]

الذى يقود البلاد الى الهاوية و قد انفجر الوضع فى المدينة بعد أن زاد تسلط الامويين على مقدرات البلاد و اذلالهم العباد، فتدفقت الوفود من مقاطعات الدولد الاسلامية من مصر و الكوفة و البصرة و كانت حركة الوفود قد استجابت لاستغاثة و جهها الصحابة لتدارك حرمة الدين الاسلامى التى باتت تنتهك كل يوم بل ان الصحابة و جهوا رسائل عديدة الى الحاميات الاسلامية فى الحدود من أجل القدوم الى عاصمة الاسلام بعد أن باتت الحصون مهددة من داخلها. [۳۰] .

و استنجد عثمان بمعاوية لقمع الثائرين و لكن معاوية كان يعرف من أين تؤكل الكتف فتكلأ فى الاستجابة منتظرا قميصه الملطخ بالدم ليكون و سيلته للاستيلاء على الخلافة.

لم تكن المعارضة تمثل تيارا واحدا بل جمعت تحت لوائها تيارات عديدة و التقت فيها بواعث كثيرة فهناك الناقمون بسبب حرمانهم الامتيازات كعمرو بن العاص و هناك الطامعون بالخلافة بعد أن نفخت الشورى فى نفوسهم أوهام الأهلية و الجدارة (طلحة و الزبير) و هناك الجماهير المتذمرة التى وجدت نفسها مهدورة الكرامة، و هناك الى جانب كل ذلك الضمير الاسلامى المتمثل فى أجلاء الصحابة بدء بأبى ذر و انتهاء بعمار بن ياسر.

[صفحه ۵۳]

و قد برز الامام على وسط هذه الاجواء المظلمة ليمثل موقفا فريدا اذ حاول تفادى الكارثة فحاز ثقة الجميع حتى عثمان نفسه اما زوجة عثمان فقد كانت تؤمن ايمانا عميقا بأن عليا هو وحده الذى سينقذ زوجها من الهاوية شرط أن يستمع الأخير للنصائحه.

و أحدقت حشود الثائرين و هى تقدر بالألوف بقصر عثمان و أعلنت مطالبها الواضحة:

– العودة الى سياسة النبى فى العطاء و التى تنهض على مبدأ المساواة و الغاء الامتيازات التى سنها الخليفة الثانى و جيرها عثمان لصالح الامويين.

– تطهير المؤسسة الحكومية من العناص الفاسدة و خاصة مروان بن الحكم.

– الحد من اطماع الأمويين و احتكار المناصب الحكومية و حصرها بهم.

– وقف الاجراءات الكيفية التى يمارسها الولاة فى الأقاليم الاسلامية ازاء رعايا الدولة والحد من صلاحيات الحكام فى التصرف بالأموال العامة.

و عندما تفاقمت الأوضاع برفض الخليفة لمطالب الثائرين و ظهرت نذر الانفاجار استنجد الجميع بعلى ليقوم بمهمة السفارة.

و اجتمع الامام بعثمان و دار الحوار التالى:

على: الناس و رائى و قد كلمونى فيك...و والله ما أدرى ما أقول

[صفحه ۵۴]

لك...و ما أعرف شيئا تجهله...و لاأدلك على أمر لاتعرفه..انك لتعلم ما نعلم..و ما سبقناك الى شى ء..فنخبرك عنه...و لاخلونا بشى ء فنبلغه...و ما خصصنا بأمر دونك...

فالله الله فى نفسك فانك و الله ما تبصر من عمى و ما تعلم من جهل، و ان الطريق لواضح بين...

و ذكر الامام الخليفة بخطر مروان..فقال:

لا تكن لمروان سيقة يسوقك حيث يشاء.

و أضاف فى حديثه الى ان الولاة يسيئون سياسة الناس و ينسبون ذلك الى عثمان: ان معاوية يقتطع الامور دونك فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك و لاتغير على معاوية.

و لقد حثت «نائلة» زوجها عثمان على الاصغاء الى نصائح على فهو وحده الذى يمكنه أن يقنع الثوار بالعودة: لهذا قال عثمان صادقا:

يا أبا الحسن: ائت هؤلاء القوم فادعهم الى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله.

قال الامام مشترطا:

نعم...ان اعطيتنى عهد الله و ميثاقه على انك تفى لهم بكل ما اضمنه عنك.

اجاب عثمان:

[صفحه ۵۵]

نعم.

و اخذ على عليه‌السلام العهود على الخليفة باصلاح الامور و خرج على يبشر الجماهير المحتشدة و علت الهتافات من كل صوب:

ما وراءك؟

فأجاب الامام:

بل أمامى...تعطون كتاب الله و تعتبون من كل ما سخطتم.

و فى هذه الكلمات او جز الامام كل مطاليبهم التى ثاروا من اجل تحقيقها...

و تساءل زعماء الثورة:

اتضمن ذلك عنه.

فقال عليه‌السلام:

نعم.

رضينا.

و هكذا تقرر اجتماع بعض زعماء الثائرين بعثمان لتحرير ما أعلن الخليفة الثالث.

و هذه صيغة التعهد كما ورد فى كتب التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين..

لمن نقم عليه من المؤمنين و المسلمين..

ان لكم أناعمل فيكم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله.

[صفحه ۵۶]

يعطى المحروم.

و يؤمن الخائف.

و يرد المنفى.

و لاتجمر البعوث «لاتبقى مرابطة فى أرض العدو».

و توفر الفيء.

و على بن أبى طالب ضمين المؤمنين و المسلمين على عثمان بالوفاء فى هذا الكتاب.

الشهود: الزبير بن العوام / طلحة بن عبيدالله / سعد بن ابى‌وقاص / عبدالله بن عمر / زيد بن ثابت / سهل بن حنيف / أبو أيوب الأنصارى / خالد بن زيد، و قد حرر الكتاب فى ذى القعدة سنة ۳۵ ه و نصح الامام على الخليفة عثمان بن عفان بان يواجه الجماهير شخصيا و يعلن على الملأ العام سياسته الجديدة.

و نهض عثمان ليواجه الجماهير، و فى قلبه عزم على أن يعود الى جادة الصواب:

سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: من زل فلينب...

و أنا أول من اتعظ...فاذا زللت فليأتى اشرافكم فليردونى برأيهم..فوالله لو ردنى الى الحق عبد لاتبعته، و ما عن الله مذهب الا اليه...

و اشرقت وجوه الجماهير بالفرحة و الأمل....

و خرج الامام على فتحدث الى الوفد المصرى الذى فضل

[صفحه ۵۷]

العودة الى دياره بعد أن حمل نسخة من كتاب الخليفة.

و هنا تدخل مروان فاجهض كل تلك المساعى الطيبة...اذ سطر كتابا باسم الخليفة و مهره بخاتم الخليفة وسلمه الى غلام الخليفة! و اركبه جملا- تعود مليكته للخليفة المغلوب على أمره؛ و قد بلغ من خبث مروان انه طوى الكتاب و وضعه فى انبوب مصنوع من الرصاص، و وضع الانبوب فى قارورة و وضع القارورة فى قربة ملاى بالماء...و قال للغلام:

حث السير حتى تصل مصر فتسلمه الى عبدالله بن سعد، و تشاء الأقدار أن يكتشف الوفد المصرى و هو فى طريق العودة الى دياره..المبعوث المشبوه و بعد تفتيش دقيق عثر أحد اعضاء الوفد على انبوبة الرصاص و فيها كتاب ينضج بالدم الموت، اما بعد...

فاذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه و اقطع يدى ابن عديس و كنانة و عروة ثم دعهم يتشحطون فى دمائهم حتى يموتوا.ثم أوثقهم الى جذوع النخل [۳۱] .

و ثارت ثائرة الوفد المصرى الذى قرر العودة [۳۲] الى المدينة و الاطاحة بعثمان.توجه الوفد المصرى الى على الذى ضمن

[صفحه ۵۸]

الخليفة؛ و شعر على بالغضب و هو يتأمل كتاب عثمان و أوامره بتصفية زعماء الوفد..

و انطلق الامام الى قصر عثمان، و قد فوجى الأخير بالكتاب و اقسم انه لايعلم منه شيئا و انه لم يكتبه و لم يأمر بكتابته و لكنه اعترف قائلا:

- اما الخط فخط كاتبى..و الختم خاتمى...

- و كان لابد من اتهام أحد بحبك هذه المؤامرة...فسأل على:

- فمن تتهم...

لقد انفتحت أمام عثمان فرصة رائعة..للتحقيق فى الأمر و من ثم الثأر لكرامته التى اهدرها مروان بتصرفاته الحمقاء...و لكننا نجد عثمان و مع بالغ الأسف يجيب دون روية قائلا:

- اتهمك واتهم كاتبى!!

و نهض على غاضبا..و شعر بأن دوره كوسيط قد انتهى و أن عثمان قد مات...منذ زمن..منذ الأيام التى سلم فيها أموره الى مروان وراح ينقاد وراءه.

تمتم على بحزن:

- ما يريد عثمان أن ينصحه أحد...اتخذ بطانة غش ليس منهم أحد الا و قد تسيب بطائفة من الأرض يأكل خراجها و يستذل اهلها.

[صفحه ۵۹]

الحصار الثانى

تدهورت الأوضاع بسرعة مثيرة،: و هتف المصريون بعثمان و لوحوا بالكتاب:

- يا عثمان أهذا كتابك؟

و انكر عثمان ذلك و أقسم.

فصاح المصريون:

- هذا شر، يكتب عنك بما لاتعلم، مثلك لايليق بالخلافة فاخلع نفسك عنها.

اجاب عثمان و قد سد جميع أبواب السلام:

- ما كنت لانزع قميصا سر بلنيه الله!

و هذا فرض الحصار مرة أخرى و تأزمت الأحداث و قد أو شك الوضع على الانفجار.

و تقدم شيخ قد هدته السنون من اصحاب [۳۳] النبى صلى الله عليه وآله، و ناشد عثمان باطفاء نار الفتنة باعتزاله الخلافة و الحكم، و فيما هو يحاور عثمان انطلق سهم فاصاب من الشيخ الصحابى مقتلا فهوى شهيدا..و انفجر الوضع و تعالت هتافات الجماهير بتسليم القاتل، و رفض عثمان الاستجابة كعادته قائلا:

- لم أكن لاقتل رجلا نصرنى...

[صفحه ۶۰]

و فى فورة غضب اندفعت الجماهير باتجاه باب القصر فاحرقته...

و وقعت عدة اشتباكات عنيفة...و مما دفع بالأمويين الى القتال.و مواجهة الجماهير بالعنف اخبار عن زحف قوات عسكريا من الشام [۳۴] باتجاه المدينة؛ و مع كل هذا فقد تخلى مروان عن الخليفة وفر مع بعض الأمويين و تركوا عثمان يواجه مصيره المحتوم وحيدا..ولقى عثمان مصرعه تحت ضربات المهاجرين و الأنصار، و هكذا اسدل الستار على حياة الخليفة الثالث..الذى ترك ثلاثة أيام بلا دفن و تضاربت الأنباء حول غسله و رفضت الجماهير فيما بعد دفنه فى مقبرة البقيع فدفن كما اجمعت مصادر التاريخ فى بقعة تدعى «حش كوكب» كان اليهود يدفنون فيها موتاهم، و اذا كان لمعاوية فضل على عثمان فهو فى هدم الحائط الذى يفصل بين «البقيع» و «حش كوكب» و الحاق الأخيرة بمقبرة المسلمين.

موقف امة

لخص الامام على الحوادث التى انتهت بمقتل عثمان فى حديثه مع بعض الثائرين قائلا:

[صفحه ۶۱]

ان عثمان استأثر فاساء الأثرة، و جزعتم فاسأتم الجزع، و لله حكم واقع فى المستأثر و الجازع.

كما و او جز سيرة عثمان فى خلافته بقوله:

الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه (من كان سيره تكبرا) بين نثيله (الروث) و معتلفه (موضع العف) و قام معه بنو اميه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه قتله وأجهزه عليه عمله وكبت به بطنته.

و اعقب مصرع عثمان ان عمت الفوضى المدينة المنورة، و اندفعت الجماهير الى منزل الامام على تطاله بتحمل مسؤولياته فى الحكم و الخلافة فى واحدة من اكثر المنعطفات التاريخية حساسية و خطورة.

و لكن الامام رفض بشدة [۳۵] و هتفت الجماهير تستنجد به:

يا أبا الحسن ان هذا الرجل قد قتل و لابد للناس من امام، و لانجد اليوم أحق بهذا الأمر منك..لاأقدم سابقة، و لاأقرب من رسول‌الله.

[صفحه ۶۲]

فقال الامام:

لا تفعلوا، و لاأفعل، فانى لكم وزير خير لكم من أمير.

و تشبث الجماهير به كما تتشبث بطوق النجاة:

انت لنا أمير.

فقال الامام،

لا حاجة لى فى امركم....ايها الناس أنا معكم فمن اخترتم رضيت به.

و احدقت به الجماهير من كل صوب و قد زادهم اصرار على الامتناع اصرار على التشبث به و هتفت الامام مرة اخرى:

دعونى و التمسوا غيرى..

و أردف مشيرا الى ان زمن الفتن قد بدأ:

انا مستقبلون أمرأ له وجوه..و له الوان، لاتثبت له العقول، و لاتقوم له القلوب.

و ارتفع صوت مخلص من بين الجماير يناشد الامام:

ننشدك الله...ألا ترى ما نرى؟!

الا ترى ما حدث فى الاسلام؟

ألا تخاف الفتنة؟

ألا تخاف الله؟!

و هنا سكت الامام...و حبست الجماهير انفاسها فقال:

انى ان اجبتكم ركبت فيكم ما أعلم، و ان تركتونى فانما أنا

[صفحه ۶۳]

كأحدكم..بل أنا من اسمعكم، و اطوعكم لمن وليتموه أمركم.

فردت الجماهير بحماس:

ما نحن بمفارقیک حتی نبایعک!

و اخیرا اعلن الامام استجابته و اشاره الی المسجد البقعة التی صنعت تاریخ الاسلام من قبل:

ان کان لابد من ذلک ففی المسجد..فبیعتی لاتکون خفیة...و لاتکون الا عن رضی المسلمین و فی ملأ جماعتهم.

و فی الیوم التالی کان المسجد الجامع یموج بالجماهیر التی احتشدت لمبایعة» علی»...

و لو قدر للمرة أن یری مشهدا واحدا من ذلک الیوم العظیم - عندما هبت الجماهیر تبایع انسانا رأت فی ملامحه وجد المنقذ...رأت فیه الشمس التی اشرقت بعد لیالی الزمهریر الطویلة - لرأی رجالا و نساء و اطفالا صغارا...و قد اشرقت الوجوه تنتظر لحظات المهد الجدید..ولرأی أیضا شیوخا قد هدتهم السنون و الأیام و لکنهم تحاملوا علی انفسهم فجاءوا یعاهدون علیا...

و جاء علی فی الصباح و قد اشرقت الشمس و غمرت المدینة بالنور و الدف..کان یرتدی قمیصا و عمامة من خز..یحمل فی یده نعلیه..یتوکا علی قوسه. [۳۶] .

[صفحه ۶۴]

و فی یوم الثامن عشر من ذی‌الحجة ارتقی علی المنبر لیواجه الجماهیر المحتشدة:

أیها الناس: انی کنت لامرکم کارها...فأبیتم الا أن اکون علیکم...رضیتم بذلک؟

وعلت هتافات الامة:

نعم..نعم...نعم.

فرفع الامام طرفه الی السماء و قال:

اللهم اشهد علیهم...

و فی فرع عارم بدأت مراسم البیعة...و امتدت أول ید و کانت شلاء [۳۷] لتعاهد علیا علی الوفاء..و تدافعت الجماهیر تبایع علیا..واشرقت وجوه الفقراء و المقهورین..لقد بدأ عهد جدید..عهد تتنفس فیه العدالة ملء رئتیها..و احتفلت الامه بهذا الیوم السعید لیکون لها عدا..و بدأت کلمات الفرح و الثناء و المجد تنثال لتملأ أذن الزمان..اذ انبری ذوالشهادتین خزیمة بن ثابت لیسجل شهادته أمام الناس و التاریخ و الأجیال:

ما اصبنا لأمرنا غیرک..و لاکان المنقلب الا الیک و لئن صدقنا انفسنا فیک لأنت أقدم الناس ایمانا..اعلم الناس بالله..و أول المؤمنین برسول‌الله..لک ما لهم...و لیس لهم ما لک..

[صفحه ۶۵]

و نهض الصحابی صعصعة بن صوحان فقال و هو یری اجمل منظر فی الاسلام:

والله یا أمیرالمؤمنین..لقد زینت الخلافة، و ما زانتک و رفعتها و ما رفعتک، ولهی الیک احوج منک الیها.

و اندفع مالک الاشتر یهتف بحماس الجندی المخلص للاسلام:

ایها الناس، هذا وصی الاوصیاء..و وارث علم الأنبیاء..العظیم البلاء، الحسن العناء..الذی شهد له کتاب الله بالایمان و رسوله بجنة الرضوان..من کملت فیه الفضائل..و لم یشک فی سابقته و علمه و فضله الأواخر و الأوائل... [۳۸] .

ولم یتخلف عن البیعة الشعبیة سوی مجموعة تعد بالاصابع فی طلیعتها: سعد بن ابی‌وقاص، اسامة بن زید، ابی‌سعید الخدری، و عبدالله

بن عمر بن الخطاب، و حسان بن ثابت الشاعر: و لم يتعرض الامام الى أى منهم، و ترك لهم الخيار بحريۀ...فقد أحضر سعد الى المسجد ليبايع و لكنه رفض ذلك قائلا:

لا...حتى يبايع الناس..والله ما عليك منى بأس.

فقال الامام:

[صفحه ۶۶]

خلوا سبيله...

و قال عبداله بن عمربن الخطاب [۳۹] مثل قول سعد:

فقال الامام:

ائتنى بكفيل.

قال:

لاأرى كفيلا.

فقال الامام:

دعوه..أنا كفيله.

و فى كل الأحوال فان مبايعۀ على كانت تعنى الاعراض عن مباهج الدنيا و الترف و حياۀ القصور، و لم يكن هذا يسيرا على الذين انغمسوا فيها و غرقوا فى أوحالها حتى الحضيض.

العهد الجديد

و بصعود على عليه‌السلام المنبر بدأ فصل جديد من التاريخ..لقد بدأ.

[صفحه ۶۷]

فصل الربيع و زمن العدالۀ و المساواۀ والأخوۀ...الجماهير و التاريخ و الضمير الانسانى تصغى الى كلمات تتدفق من روح عظيمۀ...روح انصهرت فى بوتقۀ النبوات..ها هو على ربيب محمد صلى الله عليه وآله يعلن انبعاث الرسالۀ و من جديد..و عودۀ شمس الاسلام ها هو يخاطب التاريخ و الحضارۀ و الانسانيۀ:

ألا لايقولن رجال منكم قد غمرتم الدنيا فاتخذوا العقار..و فجروا الأنهار...و ركبوا الخيل الفارهۀ..و اتخذوا الوصائف الروقۀ...فصار ذلك عليهم عارا وشنارا..اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه و أصرتهم الى حقوقهم التى يعلمون..فينقمون ذلك و يستنكرون...و يقولون حرمنا ابن ابى‌طالب حقوقنا...

واردف معلنا القاعدۀ التى تنهض عليها حقوق المواطن المسلم:

و ايما رجل استجاب لله و رسوله...فصدق ملتنا و دخل فى ديننا، و استقبل قبلتنا..فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فانتم عباد الله...

و المال مال الله..

يقسم بينكم بالسوية..

لا فضل لاحد على احد؛ و للمتقين غدا حسن الجزاء و فضل الثواب...

و اضاف قائلا:

[صفحه ۶۸]

و ذا كـان غـدا – ان شـاء الله – فاغـدوا علينـا..فان عنـدنا مالا نقسـمه فيكم، و لايتخلفن احـد منكم، عربى و لاأعجمى....كان من أهل العطاء أولم يكن..اذا كان مسلما حرا الا حضر...

اقول قولى هذا و استغفر الله العظيم لى و لكم.

هل هى مصادفة أن يتولى على بن أبىطالب عليهالسـلام الخلافة فى الثامن عشر من ذىالحجة الحرام...و هل تذكر بعض صحابة النبى صلى الله عليه وآله يوم غديرخم [۴۰] .

عندما هبط جبرئيل يعلن ولاية على على كل مسلم و مسلمة و كل مؤمن و مؤمنة.

ان الفترة التى اعقبت رحيـل النبى صـلى الله عليه وآله و اقصاء الامام على عن حقه هى من أكثر الفترات مأساويـة، و التأمل فى مواقف الامام و تصريحاته [۴۱] ابان تلك الفترة تكشف عن عمق المحنة التى

[صفحه ۶۹]

عاشـها وصى النبى ازاء قريش التى حاربت النبى صلى الله عليه وآله ما يقارب ربع قرن من الزمن و هى مدة الدعوة و الدولة، و اقصت وصيه عن حقه فى القيادة مدة ربع قرن أيضا.

حوادث يوم السبت ۱۹ ذى الحجة ۳۵ ه

بويع الامام على عليهالسـلام بالخلافة يوم الجمعة..و تجلت سياسته فى اليوم التالى.فاذا على هو صوت العدالة و الانسانية، و هو الاسلام الذى لايعرف افضلية لعربى على اعجمى و لاأبيض على اسود الا بالتقوى.

اصدر الخليفة الجديد أمره الى الصحابى عمار بتوزيع «العطاء» على الناس:

قم يا عمار الى بيت المال، فاعط الناس ثلاثة دنانير لكل انسان [۴۲] و ادفع لى ثلاثة دنانير.

و انطلق عمـار و أبوالهيثم و جماعـة من المسـلمين الى بيت المال...مضـى على الى مسـجد قباء أول مسـجد فى تاريـخ الاسـلام.مضـى ليصلى..

و هناك فى البيت الذى يضم خزائن الدولة حدث ما لايستوعبه العقل البشرى...لقد وجد عمار أن بيت المال يحوى

[صفحه ۷۰]

ثلاثمئة ألف دينار كان أهل العطاء مئة ألف انسان؛ و لم يبق دينار واحد!!

و التفت عمار الى حوله و فى عينيه بريق و خشوع قائلا:

جاء والله الحق من ربكم..والله ما علم بالمال و لابالناس و ان هذه لآية..و جبت عليكم بها طاعة الرجل.

من هنا مر الشيطان

و اذا كانت سياسة العطاء قد كشفت عن الوجه الانسانى، و الاسلامى لعلى بن أبى‌طالب عليه‌السلام، فأنها قد فجرت فى الوقت نفسه الأحقاد والاطماع..و فوجى بها بعض المقربين اليه..جاء سهل بن حنيف و هو من اصحابه فقال مذهولا:

يا أمير المؤمنين:...هذا غلامى بالأمس..و قد اعتقته اليوم.فقال الامام:

نعطيه كما نعطيك!

و اثارت هذه السياسة حفيظة عدد من الزعامات فى طليعتهم، طلحة بن عبدالله...الزبير بن العوام..عبدالله بن عمر..مروان بن الحكم [۴۳] ،...سعيد بن العاص...و بدأت أول التكتلات

[صفحه ۷۱]

المناهضة لعلى و سياسته: وقد امتنع هؤلاء عن حضور توزيع العطاء...و بذلك سجلوا أول استياء ضد العدالة.تبلورت المعارضة لتجتمع تحت لواء المصالح و الاطماع و الاحقاد الدفينة [۴۴] ،..و فى المسجد جاء الوليد بن عقبة و هو يمثل التكتل الأموى لمساومة على فقال:

يا أبا الحسن: انك قد وترتنا جميعا، أما أنا فقد قتلت ابى يوم بدر، و خذلت أخى يوم الدار بالأمس.

و أما سعيد (بن العاص) فقتلت أباه يوم بدر، و كان ثور قريش.

و أما مروان فسخفت أباه عند عثمان اذ ضمه اليه...

و نحن اخوانك و نظراؤك..و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما اصبناه منالمال فى عهد عثمان..و أن تقتل قتلة عثمان، و انا ان خفناك تركناك و التحقنا بالشام.

قال الامام واضعا النقاط على الحروف:

اما ما ذكرتم من و ترى اياكم فالحق وتركم.

و اما وضعى عنكم ما اصبتم فليس لى ان اضع حق الله عنكم و لا عن غيركم.

و اما قتلة عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، و لكن

[صفحه ۷۲]

لكم على ان خفتمونى أن أؤمنكم، و أن خفتكم أن اسيركم.

و عندما انتهت مراسم توزيع العطاء، انطلق على عليه‌السلام الى العمل فى بئر الملك. [۴۵] .

و قد رفض كل من طلحة و الزبير، و عبدالله بن عمر استلام حقوقهم من العطاء، و جاءوا يطلبون الاجتماع بعلى.

قال طلحة حانقا:

هذا منكم أو من صاحبكم؟ [۴۶] .

اجاب عمار:

هذا أمره لانعمل الا بامره.

- استأذوا لنا عليه.

ما عليه آذن هو فى بئر الملك يعمل.

و من المدهش أننا نرى هؤلاء الثلاثة يستمرون فى غيهم فيمتطون خيولهم متوجهين الى «بئر الملك».

[صفحه ۷۳]

كان الجو حارا و كان على يعمل فى الأرض مع أجير له و قد تصببا عرقا؟ قال طلحة متضايقا:

ان الشمس حارة فارتفع معنا الى الظل..

و استجاب الامام الى رغبتهم فجلس اليهم تحت ظلال شجرة ابتدا طلحة الحديث فقال:

لنا قرابة من نبى الله و سابقة جهاد...و انك اعطيتنا بالسوية..و لم يكن عمرو و لا عثمان يفعلان ذلك..كانوا يفضلوننا على غيرنا.

اجاب الامام مذكرا اياه بطريقة ابى‌بكر:

فهذا قسم ابى‌بكر..و هذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه.

اجاب الزبير:

فسابقتنا؟!

قال أمير المؤمنين موجها خطابه لطلحة و الزبير.

- انتما اسبق منى؟

- لا..فقرابتنا منه.

- أقرب من قرابتى؟

- لا..فجهادنا.

- اعظم من جهادى؟

- لا.

- و الله ما أنا فى هذا المال و اجيرى الا منزلة سواء.

[صفحه ۷۴]

و مع كل هذه الحجج المقنعة الا أن طلحة و الزبير كما يبدو قد ركبا رأسيهما و رفضا الا نصياع للأر الواقع لقد بنيا مجديهما على تلك الامتيازات الوهمية وراحا ينظران الى كل شىء من خلال تلك الأوهام.

و شهد اليوم التالى انفجارا فى المسجد عندما حاول عمار الدخول معها فى حوار [۴۷] و رفض طلحة باسلوب عنيف الحديث صارخا:

اعرف أن فى كل واحد منكم خطبة...

و اساء عبدالله بن الزبير الأدب فى خطابه لشيخ الصحابة عمار فاخرج من المسجد..و هنا غادر الزبير المسجد منزعجا و تأزمت الأوضاع، و قد ذر الشيطان قرنية..و احيط الامام علما بحركة الانشقاق...و التى تتخذ من القدم فى اعتناق الاسلام ذريعة للحصول على امتيازات دنيوية زائلة...

و شعر الامام بالغضب..و غادر منزله الى المسجد فالقى خطابا مريرا انتقد فيه هذه الظاهرة المؤسفة قائلا:

يا معشر المهاجرين و الأنصار! اتمنون على الله و رسوله باسلامكم؟ بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين.

[صفحه ۷۵]

و ارتفعت نبرة الامام و هو يهتف بغضب:

انا أبوالحسن..ألا أن هـذه الدنيا التى تتمونها و ترغبون فيها..اصـبحت تغضـبكم و ترضـيكم ليست بداركم و لامنزلكم الذى خلقتم له، فلا تغرنكم..و اما هذا الفيء فليس لاحد اثرة..فقد فرغ الله من قسـمته..هو مال الله و انتم عباد الله المسـلمون..و هذا كتاب الله، به أقررنا و له اسلمنا و عهد نبينا بين اظهرنا..

و نزل الامام و صلى ركعتين..و بعث عمارا لاستدعاء الزبير و طلحة لاجراء حوار معهما؟

قال على:

– نشدتكما الله هل جئتمانى طائعين للبيعة و دعوتمانى اليها و انى كاره؟

– نعم.

–غير مجبورين؟

– نعم.

– فما دعاكما الى ما أرى؟

– أعطيناك بيعتنا على أن لاتقضى فى الأمور دوننا..و لنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت.

و شـعر الامام بالغضب..لقد تمكن الشـيطان من نفخ روحه فيهما و قديما رفض ابليس السـجود لادم قائلا: انا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين!

[صفحه ۷۶]

قال على و هو يحاول قهر الشيطان فيهما:

– لقد نقمتما يسيرا و ارجأتما كثيرا..فاستغفر الله يغفر لكما..

الا تخبرانى..ادفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما اياه؟

– معاذ الله.

– فهل استأثرت من هذا المال بشى؟

– معاذ الله.

– أوقع حكم أو حد من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه؟

– معاذ الله.

و انطلقت صرخة مظلوم ظلت مكبوتة ربع قرن:

– فما الذى كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافى؟

– خلافك عمر فى القسمة..انك جعلت حقنا فى القسم كحق غيرنا و سويت بيننا و بين غيرنا.

و ذکرهم الامام بان السابقة و الجهاد فی الاسلام لایمکن أن تکون قاعدة تنهض علیها الامتیازات الدنیویة انها اذا خلصت لله فستکون المجد و المستقبل الحقیقی للمسلم فی الآخرة:

– أما قولکما جعلت فیئنا و أسیافنا و رماحنا سواء بیننا و بین غیرنا، فقدمیا سبق الاسلام قوم، و نصروه بسیوفهم و رماحهم، فلا فضلهم رسول‌الله بالقسم و لاآثر بالسبق، و الله موف السابق

[صفحه ۷۷]

المجاهد یوم القیامة..

و وصل الحوار الی طریق مسدود، لقد وضعت الاصابع فی الاذان و لم یعد للمواعظ معنی فی زمن یبرق المعدن الأصفر فیخلب العقول و الأبصار.

الطریق الی البصرة

تسارعت الأحداث..و شهد لیل المدینة رجالا ملثمین یجتمعون فی الظلام یتآمرون للاطاحة بالعهد الجدید..لوأد الشمس التی اشرقت بعد لیالی الشتاء الطویل.لقد تحول عثمان بین لیلة و ضحاها الی مظلوم بعد أن کان ظالما، ها هو طلحة الذی انفق اموالا طائلة و قدم مساعدات کبیرة من اجل الاطاحة بعثمان یتهیأ للفرار الی مکة من اجل المطالبة بدم عثمان، لقد اصبح عثمان مظلوما..

لأنهم فقدوا بغیاب الدنیا الجمیلة..دنیا القصور و الامتیازات و اللیالی الجمیلة!

و وصلت الحوادث منعطفا خطیرا عندما دخلت عائشة زوج النبی أم‌المؤمنین قلب الأحداث لترفع فیما بعد رایة التمرد علی الشرعیة؛ حتی عائشة التی کانت بالأمس تهاجم عثمان بقسوة باتت تهتف بظلامة الیوم...

و هنا یتوقف التاریخ مذهولا..فاذا بالذین قتلوا عثمان فی

[صفحه ۷۸]

الخامس عشر من ذی‌الحجة الحرام یرفعون لواء المطالبة بدمه من علی. [۴۸] .

و هکذا وجد مروان بن الحکم ان الظروف تسیر فی صالحه ففر الی مکة و معه بنوأمیة فاجتمعت الاحقاد و الاطماع و المصالح تحت رایة عائشة لاحبا بعثمان و لکن کرها لعلی...و انفق الامویون أموالا طائلة لتجهیز جیش المتمردین الذی تحرک صوب البصرة بقیادة عائشة [۴۹] زوج النبی صلی الله علیه وآله.

واصیب البصریون بالدهشة و هم یرون عائشة و طلحة و الزبیر قد جاءوا الی البصرة للطلب بدم عثمان الذی قتل فی المدینة!

و فی البصرة حدثت اشتباکات عنیفة مع انصار الامام وقع فیها عشرات القتلی و الجرحی.

[صفحه ۷۹]

و تحرک الامام بقواته باتجاه العراق، و عسکر فی منطقة «ذی‌قار» ینتظر وصول الامدادات من الکوفة، غیر أن الوالی [۵۰] و کان عثمانی الهوی قد وقف الی جانب عائشة، و راح یحث الناس علی نکث البیعة و عدم مساندة الامام؛ و قد وصل الحسن بن علی و

عمـار لحث الكوفيين على الالتحـاق بجيش الامام، و ظل الموقف على ما هو عليه و لم تجـد خطابات نجل الامام و لاصاحبه فى تغيير الموقف، و هنا وصل مالك الأشتر على جناح السرعة
، فاقتحم قصر الامارة بالقوة، و طرد الوالى غادر القصر مذموما مدحورا.

العجل الجديد

و فى يوم الخميس العاشـرمن جمادى الاولى سـنة ۳۶ ه شـهدت منطقة «الخريبة» [۵۱] من ارض البصـرة حشودا عسـكرية هائلة و كان جيش الامـام على يضم ثمـانين «بـدريا» و مئتين و خمسـين صـحابيا شاكروا فى بيعـة الرضوان [۵۲] وتقـدمت عائشـة على جمل و عن يمينها و شمالها الزبير و ابنه عبدالله و طلحة و مروان بن الحكم و سعيد بن العاص! و قد حاول الامام على عليه‌السلام

[صفحه ۸۰]

التوصـل الى حـل سـلمى و ذكر الزبير بن العـوام بحـديث لرسول‌الله. [۵۳] و كـاد الزبير ان يتراجع فى اللحظـات الأـخيرة قبـل اشـتعال المعركة لولا تدخل ابنه عبدالله الذى اتهم أباه بالجبن...
و عرض الامام مرة اخرى التحاكم الى كتاب الله و حق الـدماء، و لكن المتحمسـين للحرب فى جيش عائشة أمطروا الشاب الذى حمل القرآن فى منطقة القتال بوابل من السهام فسقط شهيدا كما سقط بعض الجرحى فى جيش الامام.
هنالك دعا على ابنه محمدا و سلمه راية الجيش العظمى و كانت راية رسول‌الله، و قال:
يا بنى هذه راية ما ردت قط و لاترد..يا أباالقاسم!
قد حملت الراية و انا اصغر منك..
و كثف جيش الناكثين هجومه بالسـهام..فاصـدر الامام أمره بالهجوم العام..و اشـتبك الفريقان فى معارك ضارية، و تحول الجمل فى نوبة من نوبات الجنون الوثنى الى عجل جديد..اذا دارت حوله اعنف الاشـتباكات و قد كان الهودج مصـفحا بالحديد وهتف الامام و هو يرى عنف المعارك حوله:

[صفحه ۸۱]

اعقروا الجمل و الا فنيت العرب.
و بسقوط الجمل [۵۴] خفت حدة المعارك و بدأت جبهات الناكثين تتزلزل بشدة تحت وقع ضربات المحاربين.
و أمر على ربيبه محمد بن أبى‌بكر أن يبادر الى الهودج و يحمى أخته! و حسم جيش على المعركة فى ساعات معدودة [۵۵] .
و فوجئت عائشة بيد تمتد داخل الهودج فصاحت:
- من أنت؟!
- أبغض اهلك اليك.
- ابن الخثعمية؟!
- نعم و لم تكن دون امهاتك.
- لعمرى بل هى شريفة..دع عنك هذا..الحمد الله الذى سلمك.

- قد كان ذلك ما تكرهين.

- يا أخى لو كرهته ما قلت الذى قلته.

[صفحه ۸۲]

- كنت تحبين الظفر وانى قتلت؟

- كنت أحب ذلك فاكفف.

و جاء الامام فقرع الهودح بالرمح و قال بلهجة فيها غضب و حزن:

- يا حميراء! بهذا اوصاك رسول‌الله؟!

اجابت عائشة:

- يا ابن ابى‌طالب: ملكت فاصفح.

فقال الامام و هو يطلق آهة حرى:

- و الله ما ادرى متى اشفى غيظى؟

احين أقدر على الانتقام فيقال لى لو غفرت؟!

أم حين اعجز فيقال لى لو صبرت؟

غير أن الامام لايجد سوى الصبر سلاحا..و الصبر سلاح الأنبياء:

- بلى اصبر فان لكل شى زكاة و زكاة القدرة العفو! و التفت الامام الى محمد بن أبى‌بكر [۵۶] و قال:

[صفحه ۸۳]

شأنك باختك لايدنو منها احد سواك.

لقد اسفرت معارك الجمل الضاربة عن سقوط ما يقارب من خمسة و عشرين ألف مقاتل ستة الاف من جيش على عليه‌السلام.

وقد لقى طلحة مصرعه خلال احتدام المعارك [۵۷] و تضاربت الانباء حول انسحاب الزبير من أرض المعركة هل كان قبل احتدام المعارك أو بعدها، و فى كل الأحوال فقد اغتيل فى «وادى السباع» [۵۸] و كانت دوافع القال الاطماع فقد حمل رأسه و سيفه و جاء يبشر عليا عليه‌السلام..و تناول الامام سيف الزبير و تمتم أسفا:

- سيف اعرفه..طالما لاالكرب عن وجه رسول‌الله.

و اردف الامام مخاطبا «ابن جرموز»!

- و الله ما كان ابن‌صفية جبانا و لالئيما، و لكنه الحين و مصارع السوء.

قال ابن جرموز و هو يتطلع الى المكافأة!

- الجائزة يا أمير المؤمنين؟

و انبعثت فى اعماق الامام نبوءة قديمة:

[صفحه ۸۴]

- اما انى سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: بشر قاتل ابن‌صفية بالنار.

و اصدر الامام على عليه‌السلام عفوا عاما [۵۹] اثر توقف العمليات الحربية، و منع أخذ غنائم الجيش المهزوم سوى ما استخدم للحرب من اسلحة و وسائط نقل.

وطالب بعضهم الامام بالسبى فرفض ذلك فقالوا مستنكرين:

- كيف تحل لنا دماءهم و تحرم علينا سبيلهم!

فاجاب الامام:

- كيف تحل لكم ذرية ضعيفة فى دار هجرة الاسلام؟!

و عندما رأى اصرارهم قال:

- فاقرعوا على عائشة اذن.

فهتفوا عندها مستغفرين:

- نستغفر الله يا أمير المؤمنين!

لقد كشفت معركة الجمل و الحوادث التى تلتها عن مستويات متدنية من الوعى الدينى..و عمقت التيارات المتناقضة التى استشرت فى فكر الأمة و ضميرها، و مهدت الطريق امام كارثة صفين.

[صفحه ۸۵]

حوار مع الاصفر

و دخل الامام بيت المال، و رأى دنان الذهب و الفضة قال:

يا صفراء غرى غيرى، و القى نظرة فاحصة و قال فرقوه خمسمئة خمسمئة، و اخذ الامام نصيبه اسوة بجنوده فجاء رجل و قال: كنت شاهدا بقلبى و ان غاب عنك جسمى.

فاعطاه على نصيبه و انصرف صفر اليدين حامدا الله اذ لم يحصل على شىء من الفىء..و لما عوتب على التسوية فى العطاء قال: أتأمرونى أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! و الله لاطور به ما سمر سمير، و ما ام نجم فى السماء نجما؛ لو كان المال لى لسويت بينهم فيكف و انما المال مال الله [۶۰] .

و القى الامام نظرة حزن على جثث القتلى، و مر بطلحة [۶۱] .

[صفحه ۸۶]

و هو جثة هامدة و قد مر الظلام الاشياء فقال بأسى:

لقد اصبح «أبومحمد» بهذا المكان غريبا! أما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب

مشهد فى البصرة

و خلال مكوثه فى البصرة توجه الامام الى منزل احد اصحابه و هو العلاء بن زياد الحارثى ليعوده فى علة المت به..و تأمل الامام سعة الدار فقال لصاحبه و هو يحاوره:

– ما كنت تصنع بسعة هذه الدار فى الدنيا، وانت اليها فى الآخرة كنت أحوج؟ و يجيب الامام ليفتح الطريق أمام الأغنياء الصالحين فيقول:

– بلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقرى بها الضيف و تصل فيها الرحم و تطلع منها الحقوق مطالعها..فاذا انت قد بلغت بها الآخرة...

قال العلاء بصوت واهن و قد وجد له فرصة ليشكو اليه أخاه:

– يا أمير المؤمنين اشكو اليك أخى عاصم.

قال الامام:

– ما له؟

– لبس العباءة و تخلى عن الدنيا.

[صفحه ۸۷]

و انبرى لامام ليواجه ظاهرة التصوف:

– على به!

لقد حدد على موقفه من الغنى فيا ترى ماذا سيكون موقفه مع الذين يتركون الدنيا و يديرون وجوههم لها؟

جاء عاصم أخو العلاء...كان يرتدى عباءة صوف رثة.

قال الامام بلهجة فيها عتب خفيف:

– يا عدى [۶۲] نفسه! لقد استهام بك الخبيث.

اما رحمت أهلك و ولدك!

أترى الله احل لك الطيبات و هو يكره أن تأخذها؟

أنت أهون على الله من ذلك.

نظر عاصم الى ثياب أميرالمؤمنين ربما كانت أكثر رثاثة من ثيابه فقال:

– يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونة ملبسك و جشوبة مأكلك.

قال الامام و هو يفلسف له الحاكم القدوة:

– ويحك أنى لست كأنت...ان الله تعالى فرض على ائمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كلا يتبيغ [۶۳] الفقير بفقره.

[صفحه ۸۸]

العاصمة الجديدة

كان الامام يدرك ان الخطر القادم يكمن فى الشام حيث يمارس معاوية بن أبىسفيان سياسته المشبوهة فى غسل الادمغة، و تزوير الحقائق، و توجيه الرأى العام الجهة التى تخدم مصالحه و تحقق طموحاته الشخصية.و من هنا اختار الامام الكوفة عاصمة جديدة

للدولة الاسلامية لموقعها الاستراتيجى و وفرة مواردها الاقتصادية.

غادر أميرالمؤمنين عليه‌السلام مدينة البصرة بعد أن عين عليها واليا جديدا هو عبدالله بن عباس، و فى البصرة قال كلمته الخالدة:

ارضكم قريبة من الماء بعيدة عن السماء و التى اثارت التساؤلات لدى سامعيها عقودا طويلة من الزمن.

واتجه الامام الى الكوفة فهمس و قد لاحت من بعيد باسقات النخيل:

ويحك يا كوفان؛ ما اطيب هواءك و اغذى ترتبك الخارج منك بذنب، و الداخل اليك برحمة؛ لاتذهب الأيام و الليالى حتى يجى ء اليك كل مؤمن، و يبغض المقام بك كل فاجر، و تعمرين حتى ان الرجل من أهلك ليبكر الى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة.

و قد وصل الامام الكوفة يوم الاثنين الثانى و العشرين من رجب سنة ۳۶ ه [۶۴] .

[صفحه ۸۹]

و عرض على الامام أن ينزل فى قصر الامارة فرفض قائلا:

هذا قصر الخبال لاحاجة لى فى نزوله.

واتجه الى المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين..و فى يوم الجمعة القى الامام خطابا و عظيا حذر فيه المؤمنين من الدنيا جاء فيه:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله...

احذروا من الله ما حذركم من نفسه..و اشفقوا من عذاب الله، فانه لم يخلقكم عبثا، و لم يترك شيئا من امركم سدى..قد سمى آثاركم و علم اسراركم، و احصى اعمالكم، كتب آجالكم..فلا تغرنكم الدنيا فانها غرارة لاهلها، و المغرور من اغتر بها، و الى فناء ما هى، و ان الدار الآخرة هى دار القرار. [۶۵] .

بواعث انتخاب الكوفة عاصمة للاسلام

قبل أن ندخل فى تفاصيل هذا الموضع نشيرالى أن معركة الجمل فى بعض جوانبها اعتبرت صراعا بين البصرة و الكوفة.

فبعد مصرع الخليفة الثالث فر عبدالله بن عامر الحاكم البصرة الى مكة بعد أن سرق خزانة الدولة و هناك التقى الزبير

[صفحه ۹۰]

و طلحة و عائشة و مروان و حدث جدل حول المكان الذى يتجه اليه الناكثون للبيعة، يعلنون فيه التمرد و كان هناك تفكير فى الشام و لكن استبعد أولا لان فى الشام معاوية و هو يحكم سيطرته على البلاد، فهى منطقة مضمونة التأييد لأى خطوة ضد الامام على كما كانت هناك هواجس فى أن يتحكم بهم معاوية و يتخذ منهم وسائل للضغط و تحقيق مكاسب شخصية.و فى غمرة الجدل طرح والى البصرة الهارب فكرة التوجه اليها و تعبئة أهلها ضد الامام و أصبح عثمان بين ليلة و ضحاها خليفة مظلوما و شهيدا و حمل الناكثون الامام مسؤولية قتله!!

لقد انتخب الناكثون قاعدة عسكرية هى البصرة ولذا وجه الامام نفسه مضطرا للاستعانة بالكوفة التى كانت يومها من مراكز الصحابة و قاعدة لها وزنها العسكرى و القتالى.

و اثر انتهاء معركة فوجى الكثيرون بعد أن رأوا الامام يولى وجهه شطر الكوفة و لاتخاذها مركزا للخلافة.

فما هى بواعث هذا القرار؟

لا نستطیع أن نحدد سببا وحیدا یقف وراء انتخاب هذه المدینة التی لم یمض علی نشوئها عقدان من السنین لکننا نستطیع أن نحدد مجمل مقومات الکوفة لتی تجعل منها موقعا استراتیجیا حساسا.

فمن الناحیة الجغرافیة و الجغرافیة البشریة تقع الکوفة فی

[صفحه ۹۱]

قلب العالم الاسلامی.

کما أنها تشرق علی أربع مناطق استراتیجیة هی ایران، الحجاز، الشام و مصر اضافة الی قربها من المناطق ذات الترکیز السکانی و یشکل مجموع ذلک عمقا استراتیجیا لمواجهة التحدیات و الاعتداءات الاجنبیة.

و من الناحیة الاجتماعیة تمتاز الکوفة بالکثافة السکانیة و وجود عدد لابأس به من صحابة النبی صلی الله علیه وآله وسلم و کثیر منهم بدریون اضافة الی زعماء القبائل، و فی حساب الولاءات یمکن القول ان وجود تیار قوی داخل الکوفة یؤید الامام علی بحماس و مجموع هذه النقاط اجتماعیا یوفر حالة أمنیة لمرکز القیادة.

أما الجانب العسکری فلا یوجد من یناقش فی وجود نسبة کبیرة من أبطال الاسلام، فالکوفة ما تزال قاعدة عسکریة کبری مستعدة لاستئناف التقدم فی الشرق و الهجوم علی الامبراطوریة الساسانیة، و هذا ما یمنح الکوفة قدرة تعبویة و لاننسی أن الامام کان ینظر الی الشام کخطر قادم و الکوفة فی موقعها الفرید یمکنها تأدیب الخارجین علی الشرعیة و لاشک أن حاکم الشام یخشی القدرات العسکریات التی أنزلت الهزائم الساحقة فی جیوش الامبراطوریة الساسانیة.

کما أن العراق بشکل عام من الاقالیم الغنیة اقتصادیا، من حیث وفرة المیاه و وجود نهرین عظیمین یرویان مناطق زراعیة

[صفحه ۹۲]

واسعة، کما أن اختیار الکوفة عاصمة وقربها من اقلیم ایران الثری الذی ما یزال یقدم دعما نقدیا یتمثل بضریبتی الجزیة و الخراج کل ذلک یمکن الخلافة من تغطیة الجهد العسکری و نفقات الحرب.

و یمکننا أن نضیف و بشکل عام الوعی السیاسی الذی أهل الکوفة الی أن تکون مرکزا ثوریا متقدما بعکس البصرة آنذاک التی ظلت سطحیة فی التفکیر تماما و واضح أن الامام کان یحمل هما اصلاحیا کبیرا و برنامجا واسعا لن یجد له التأیید المطلوب فی الحجاز.

و من الطبیعی أنه لایمکن الجزم بأن الامام سوف ینتخب الکوفة مرکزا للخلافة لو شطبنا علی الخطر الذی یمثله معاویة و هو یلوح بقمیص عثمان الملطخ بالدم.

و من الطبیعی أن یبدو قدوم الامالی الی الکوفة انما کان لمواجهة التهدید الجدید فی الشام و تعبئة الکوفة لمواجهة التمرد الخطیر و لعله سیعود الی المدینة فی حالة انتهاء أو القضاء علی العصیان.

ان الظروف الدقیقة و المثیرة قد اضطرته علی کل حال الی انتخاب عاصمة جدیدة للخلافة اذ وجد نفسه فی غضون اسابیع وجها لوجه أما خطرین کبیرین: خطرالتمرد فی العراق و بالتحدید فی البصرة و خطر التمرد فی الشام، و کان علی الامام انا یختار

[صفحه ۹۳]

موقعا مؤهلا لضبط اقليمين كبيرين هما الشام و العراق.

و لم يكن الحجاز ليستطيع مواجهة أى من الاقليمين فالمدينة التى تعد أفضل نقاط الحجاز كانت عاجزة عن اشباع سكانها فكيف يمكنها اشباع جيش جرار!! أنها و من الناحية التعبوية لاتستطيع النهوض بما يمكنها من مواجهة التحديات فاكبر رقم سجله التاريخ للقوات التى تحركت مع الامام لمواجهة الناكثين فى البصرة كا اربعة آلاف فقط و حتى هؤلاء الآلاف لايمكن ضمان ولاءهم الى النهاية، اضافة الى وجود عدد من الصحابة لم يكونوا على علاقة طيبة مع الامام من قبيل عبدالله بن عمرو سعد ابن ابى‌وقاص، زيد بن ثابت و آخرين.

و بشكل عام شهدت المدينة المنورة جنوحا لدى سكانها الى حياة الدعة خاصة بعد الامتيازات التى حصلوا عليها فى عهد الخليفة الثانى و الثالث كان النصيب الأوفر لشخصيات كانت ذات يوم تناصب الاسلام العداء، بل ان حكام الاقاليم انتخبوا و مع بالغ الاسف من هؤلاء وابنائهم فمعاوية حكم الشام واليا مدة عشرين سنة بعد أخيه يزيد بن أبى‌سفيان و سلمت الكوفة الى الوليد بن عقبة ثم الى سعيد بن العاص و هذا الوضع الشاذ يرفضه الامام رفضا قاطعا و لايتساهل فيه.

أما الهزة الروحية التى أحدثها النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى النفوس فقد بدأت تنحسر و بدأ البعض ينظر الى الامام بروح من الحقد

[صفحه ۹۴]

والانتقام و الكراهية بسبب مصرع اخوانهم أو آبائهم فى معارك الاسلام الأولى من بدر الى حنين.

أما البيعة الشعبية للامام و مشاهد تدفق الجماهير لمناشدة الامام فى تصديه لمسؤولية الخلافة فسببها كان واضحا جدا و هو يعود الى الثقل الجماهيرى الذى كونته الوفود القادمة من الاقاليم الاسلامية المتململة و هؤلاء سوف يعودون بعد أنقضاء مهمتهم فى حسم مسألة الخلافة.

و يجب التأكيد على ان موقف قريش كان متشنجا الى حد كبيرازاء الامام و يعود الى ما ذر آنفا لان ذا الفقار قد وترهم جميعا و هزمهم.

كما أن تمركز الوجود القرشى فى المدينة فى عهد عثمان و بالخصوص الجناح الأموى قد أدى بالأضافة الى أسباب أخر الى هجرة أعداد كبيرة من الصحابة خارج المدينة المنورة حبا فى الجهاد و طهارة الثوب و النقاء و الابتعاد عن مغريات الحياة الدنيا.

و قد فضل كثير من الصحابة السكنى فى مدينة الكوفة مما جعل لها ثقلا دينيا كبيرا و موقفا مؤثرا فى الضمير الاسلامى.

و مما يدعو للتأمل اننا لانجد فى الولاة الذى عينهم الامام على عليه‌السلام أحدا من المهاجرين باستثناء بنى‌عمه و ما عدا هؤلاء سنجد شخصيات بارزة من الانصار كعثمان بن حنيف و أخيه سهل، و الانصار، و منذ حادثة السقيفة هضمت حقوقهم و اتبعت ضدهم

[صفحه ۹۵]

سياسيات اتسمت بالتعسف خاصة فى عهد الخليفة الثالث، فقد انبعثت الأحقاد القديمة فى النفوس المريضة و بدأ الامويون بعد أن امسكوا بزمام الحكم باضطهادم.

يكفى أن نذكر بالحادث الذى سبق معركة الجمل عندما احتلت البصرة من قبل الناكثين و بخديعة ثم شن أحد ابناء المهاجرين غارة

لیلیـة علی الوالی من قبل الامام عثمان بن حنیف و تم اعتقاله و التنکیل به وعومل معاملة قاسـیة بعیدة کل البعد عن الأخلاق فقد نتف شعر رأسه و لحیته و حاجبیه و هموا بقتله لولا مخاوف من قیام أخیه سهل حاکم المدینة بخطوة انتقامة تقضی علی مصالحهم.

ان مجموع العوامل الآنفة الذکر تؤید منطقیة انتخاب الکوفة فی واحد من اکثر منعطفات التاریخ ثارة و حساسیة.

و بالرغم مما عاناه الامام فی العالمین الأخیرین من حیاته الا أن الکوفة ظلت املا فی اسـتمرار حرکة التصـحیح و الوعی حتی و لو بعد حین.

عود علی بدء

لقد وجدت من الضروری اقتباس قسم من الفصل الأیر فی کتاب الا علی لأنه سیسهم فی رسم زاویة من المشهد العام لمدینة الکوفة و حلقات الصراع مع تمرد اقلیم الشام و خروجه علی

[صفحه ۹۶]

الشرعیة.

و کان الامام قد وصل الکوفة یوم الاثنین الثانی و العشرین من رجب سنة ۳۶ ه. [۶۶] .

ارهاصات الحرب

شهـدت دمشق بعـد مصـرع عثمان بـدء الاسـتعدادات علی قدم و ساق للقیام بأوسع تمرد ضد الشـریعة، و تصاعدت و تیرة النشاط بعد حرب الجمل و ما تمخض عنها من جراح فی اعماق الامة.

و عرف مکعاوة من أین ستؤکل الکتف، فرفع قمیص عثمان لیکون افضل ذریعة لاعلان الحرب علی الامام.

و بـدأ معاویـة نشاطـا محمومـا فی تعبئـة کـل ما یمکن تعبئته ضـد علی علیه‌السـلام و کثف من مراسـلاته للشخصـیات و الزعامات فی مختلف مناطق الدولة الاسلامیة.

و فی تلک الفترة تبلورت فی ذهن معاویة التحالف مع عمرو ابن العاص ضد أمیرالمؤمنین علیه‌السلام. [۶۷] .

و کان الامام علی علیه‌السلام قد ارسل مبعوثه جریر بن عبدالله

[صفحه ۹۷]

البجلی لأخذ البیعة و اجتمع جریر بمعاویة و سلمه رسالة الامام و قد جاء فیها:

بسم الله الرحمن الرحیم

من عبدالله علی أمیر المؤمنین الی معاویة بن أبی‌سفیان.

أما بعد...

فقد لزمک و من قبلک من المسلمین بیعتی؛ و انا بالمدینة و انتم بالشام.

لأنـه بـایعنی الـذین بـایعوا أبـابکر و عمر و عثمـان...فلیس للشاهـد أن یختـار، و لاللغـائب أن یرد، و انمـا الأمر فی ذلک للمهاجرین و الأنصـار، فاذا اجتمعوا علی رجل مسـلم، فسـموه اماما کان ذلک لله رضـی فان خرج من أمرهم أحـد بطعن فیه أو رغبـة عنه رد الی ما

خرج منه؛ فان أبى على اتباعه غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولى، و يصله جهنم و ساءت مصيرا.

فادخل فيما دخل فيه المهاجريون و الأنصار، فان احب الأمور فيك و فيمن قبلك العافية، فان قبلتها و الا فائذن بحرب.

و قد أكثرت فى قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم الى، احملك و اياهم على ما فى كتاب الله و سنة نبيه....

فاما تلك التى تريدها [۶۸] فانما هو خدعة الصبى عن

[صفحه ۹۸]

الرضاع. [۶۹] .

كان معاوية يهدف الى كسب المزيد من الوقت ريثما يصل عمر و بن العاص. [۷۰] .

على أن ذلك لم يمنع معاوية من الاحتفاء بجرير و اكرامه و محاولة كسبه الى جانبه.

و يبدو أن سياسته قد نجحت فقد تأخر جرير فى عودته من مهمته.

و فى الكوفة شعر بعضهم بالقلق ازاء ما يجرى فى الشام فاشاروا على الامام بالاستعداد و اعلان الحرب؛ غير ان الامام لم يجد ذلك مناسبا لأنه سوف يئدكل مشروع خير فقال:

- ان استعدادى لحرب أهل الشام و جرير عندهم، اغلاق للشام و صرف لأهله عن خير ارادوه، و لكن وقت لجرير وقتا لايقيم بعده الا مخدوعا أو عاصيا [۷۱] و الرأى عندى مع الأناة.

[صفحه ۹۹]

الحلف الدنس

وصل عمرو بن العاص دمشق و دخل مع معاوية على الفور فى مفاوضات مكشفوة انتهت بتحالف دنس.

لقد عرف كل منهما صاحبه، فمعاوية يحتاح الى عقل ذكى و شخصية يمكنها أن تلبس الاشياء غير ثوبها الحقيقى، شخصية متلونة وصولية، انتهازية لاتعرف شيئا مقدسا.و عمرو بن العاص يحتاج هو الآخر الى من يمكنه من تحقيق طموحاته و أطماعه و بكلمة واحدة يصنع له دنياه.

لنتأمل فى جانب من حوار الرجلين:

قال معاوية:

- يا أبا عبدالله، طرقتنا فى هذه الأيام ثلاثة امور، ليس فيها ورد و لاصدر.

- ما هن؟

- اما أولهن: فان محمد بن حذيفة [۷۲] كسر الجسن و هرب الى مصر فيمن كان معه من اصحابه و هو من اعدى الناس لنا.

[صفحه ۱۰۰]

و اما الثانية: فان قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج الينا ليحاربنا على الشام.

و اما الثالثة: فان جريرا قدم رسولا لعلى بن ابى‌طالب يدعون الى البيعة له أو ايذان بحرب.

لنرى الآن اجوبة ابن العاص، و رؤيته فى معالجة المشكلات، و كيفية نفوذه لتحقيق غاياته، قال عمرو:

- اما ابن حذيفة فما يغمك من خروجه من سجنه فى اصحابه، فارسل فى طلبه الخيل، فا نقدرت عليك فذاك و ان لم تقدر عليه لم يضرك.

و أما القيصر [۷۳] فاكتب اليه تعلمه انك ترد عليه جميع من فى يديك من اسرى الروم، و تسأله المصالحة.

و اما على بن ابى‌طالب...

سكت عمرو لخطات ليسدد سهامه فقال:

- ان المسلمين لايساووق بينك و بينه...

قال معاوية مقاطعا:

[صفحه ۱۰۱]

- انا مالا على قتل عثمان، و اظهر الفتنة، و فرق الجماعة.

و تظاهر عمرو بتأييد تخرصات معاوية و قال:

- انه و ان كان ذلك..فليست لك مثل سابقته و قرابته، و برقت فى عينيه الاطماع فاردف قائلا:

و لكن ما لى ان شايعتك الى أمرك حتى تنال ما تريد؟

أعطى معاوية صاحبه صكا مفتوحا:

- حكمك.

قال عمرو قد سال لعابه لمملكة الفراعنة:

- اجعل لى مصر طعمة ما دامت لك ولاية.

سكت معاوية ان مفاوضه يريد مصر لمقة خالصة له لايشاكره فيها أحد، قال بعد لحظات صمت:

- لو شئت أن أخدعك خدعتك.

قال عمرو قد برقت عيناه كثعلب:

- ما مثلى يخدع.

- ادن منى اساركك.

و ارهف عمرو أذنيه لمعاوية الذى قال:

- هذه خدعة، هل ترى فى البيت غيرى و غيرك.

و أردف:

- اما تعلم أن مصر مثل العراق؟

قال عمرو بخبث:

[صفحه ۱۰۲]

- غير انها انما تكون لى اذا كانت لك الدنيا، و انما تكون لك ان غلبت عليا.

و فى النهاية تمت الصفقة، و تأسس الحلف الدنس بين رجلين جمعتهما المصالح و الاطماع.

و فى جو محموم حرر الطرفان صيغة الاتفاق و اصبحت مصر شعبا و مقدرات و ثروات (طعمة) لعمرو بن العاص بموجب ذلك الاتفاق.

و بدأ الطرفان منذ ذلك التاريخ التخطيط لمواجهة الخطر القادم من العراق.

و لقد حاول الامام على اسداء النصح الى عمرو بن العاص قبل أن ينغمس فى دنيا معاوية فبعث اليه برسالة هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله على أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص...

اما بعد...

فان الدنيا مشغلة عن غيرها، صاحبها منهوم فيها، لايصيب منها شيئا الا ازداد عليها حرصا، و لم يستغن بما نال عما لايبلغ، و من وراء ذلك فراق ما جمع؛ و السعيد من اتعظ بغيره فلا تحبط عملك بمجاراة معاوية فى باطله، فانه سفه الحق و اختار الباطل....و السلام. [۷۴] .

[صفحه ۱۰۳]

غير ان ابن العاص كان قد سقط فى حبائل الشيطان و لم يعد يبصر امامه شيئا سوى «مصر»..

و هكذا بدأ التحضير لتفجير الصراع مع على وفق خطة مدروسة بعناية.و من خلال الحوادث التى رافقت انفجار الاوضاع فى صفين يبرز وجه عمرو بن العاص كعقل مدبر و سياسى ماكر؛ فقد اشار على معاوية بعد عودة مبعوث الامام الى الكوفة الا يعلن نفسه خليفة ابدا، و أن يبذل قصارى جهده فى اشارعة أكبر اكذوبة فى تاريخ الاسلام و هى مسؤلية على عليه‌السلام الكاملة عن مقتل عثمان؛ و أن المطالبة بدمه سوف توحد الرأى العام فى الشام لصالحه. [۷۵] .

و قد رتب معاوية خطة ماكرة فى كسب علية القوم فى الشام حتى باتوا اكثر حماسا من معاوية نفسه فى مناوئة أهل العراق و رفض خلافة على عليه‌السلام.

و فى هذا قال على عليه‌السلام فى احدى المناسبات: «ألا و أن معاوية قاد لمة من الغواة و عمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم

[صفحه ۱۰۴]

أغراض المنية» وراح ابن العاص يطلق الأكاذيب تلو الأكاذيب ضد على على طريقة كذب ثم كذب حتى يصدقك الناس؛ حتى راحت اكاذيبه تزكم الانوف، و وصلت اخبارها العراق فقال لعى:

عجبا لان النابغة!! يزعم لأهل الشام أن فى دعابة و انى امرؤ تلعابة!...لقد قال باطلا..و نطق آثما...أما - و شر القول الكذب - انه ليقول فيكذب و يعد فيخلف و يسأل فيبخل، و يستأل فيلحف، و يخون العهد و يقطع الأل...

و يفلسف الامام مهجه الاخلاقى و سيرة خصمه فيقول:

اما و الله انى ليمنعنى من اللعب ذكر الموت، و انه ليمنعه من قول الحق نسيانه الآخرة...ثم يفضح تحالفه مع معاوية قائلا:

انه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه آتية و يرضخ له على ترك الدين رضيخة.

و هكذا أوجز على تحالف ابن العاص مع معاوية بعبارة بليغة أنها صفقة الدنيا مقابل الدين؛ و لقد باع عمرو بن العاص دينه بدنيا غيره. [۷۶] .

و قد لجأ الكثير الى المعاوية لاحبا به و لكن كرها لعلى فرارا من وجه العدالة [۷۷] غير مدركين أن العدل هو الاساس الذى ينهض

[صفحه ۱۰۵]

عليه الرخاء و الأمن الاجتماعى، «أن فى العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق» [۷۸] .

الطريق الى صفين

يشعر المرء و هو يستكشف حوادث تلك الحقبة التاريخية من الزمن [۷۹] بعمق التغيرات النفسية و التحولات الفكرية و الاجتماعية التى المت بالمجتمع الاسلامى و الأمة نذاك و التى ادت فيما بعد الى ظهور تيارات فكرية متناقضة و من ثم تنامى التيار «السفيانى» اذا صح التعبير و استيلائه على مقدرات الدولة الاسلامية بل و انحرافه بالمسار الحضارى للاسلام منذ كارثة صفين. [۸۰] .

[صفحه ۱۰۶]

يقول على و هو يقسم مجتمعة الى خمسة اصناف و يصف زمانه:

«أيها الناس..انا قد اصبحنا فى دهر عنود..و زمان كنود...يعد فيه المحسن مسيئا..و يزداد الظالم فيه عتوا..و لاننتفع بما علمنا و لانسأل عما جهلنا و لانتخوف قارعة حتى تحل بنا...

و الناس على اربعة اصناف:

منهم: من لايمنعه الفساد فى الأرض الا مهانة نفسه و كلالة حده...

و منهم: المصلت لسيفه و المعلن بشره و المجلب بخيله و رجله...

قد اشرط نفسه، و أوبق دينه...لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده..أو منبر يفرعه...و لبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا و مما لك عن الله عوضا.و منهم: من يطلب الدنيا بعمل الآخرة و لايطلب الآخرة بعمل الدنيا.

قد طامن من شخصه و قارب من خطوه، و شمر من ثوبه، و زخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية.

و منهم: من ابعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه و انقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة، و تزين بلباس الزهادة...»

[صفحه ۱۰۷]

و هنا يأتى دور الصنف الخامس و هو الذى يمثل الضمير المقهور فى اعماق الامة، فيقول:

و بقى رجال غض ابصارهم ذكر المرجع، و أراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد ناد...و خائف مقموع، و ساكت مكعوم، وداع مخلص، و ثكلان موجع، قد اخملتهم التقية و شملتهم الذلة، فهم فى بحر أجاج، أفواههم ضامزة (ساكنة) و قلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملوا و قهروا حتى ذلوا، و قتلوا حتى قلوا. [۸۱] .

طبول الحرب

وصلت المراسلات [۸۲] بين الامام و معاوية الى طريق مسدود..و دوت فى دمشق طبول الحرب...و لم يجد الامام بدا من معالجة الانحراف بالقوة و سمع أمير المؤمنين يقول و قد استنفد كل الوسائل السلمية مع والى الشام الطموح:

«...و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه...و قلبت ظهره و بطنه فلم أر

فيه الا القتال أو الكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله...».

و فى عاصمة الخلافة أعلن الامام حالة النفير الامام...

[صفحه ۱۰۸]

وتجمعت الألوف و خرجت طلائع جيش الامام الى «النخيلة» التى اصبحت منطقة تحشد عسكرية مذ ذلك التاريخ...

و لنحاول أن نتخيل الامام و هو يتقدم من فرسه و قد وضع رجله فى الركاب...فيتذكر كلمات قالها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قبل اكثر من ثلاثين سنة..رنا الامام بناظرية الى السماء...الى العالم اللانهائى وردد ذات الكلمات قائلا:

«اللهم انى اعوذبك من وعثاء السفر...و كآبة المنقلب..و سوء المنظر فى الأهل و المال و الولد...اللهم أنت الصاحب فى السفر و أنت الخليفة فى الأهل...»

و هنا يضيف الامام من بنات افكاره لتنفتح «لباب» على «المدينة» [۸۳] فيقول:

«و لايجمعها غيرك، لان المستخلف لايكون مستصحبا و المستصحب لايكون مستخلفا» [۸۴] .

فتتوحد المسيرة التى ابتدأها رسول‌الله و استأنفها وصيه..

انها اخلاق محمد صلى الله عليه و آله تتألق فى على..و معانى رسالته تنبض فى مفردات ابدعها مؤسس البلاغة فى دنيا العرب.

[صفحه ۱۰۹]

النخيلة

استخلف الامام على على الكوفة الصحابى أبا مسعود الأنصارى [۸۵] و اتجه الى النخيلة [۸۶] و كان عمار بن ياسر شيخ المهاجرين قد سبق الامام اليها؛ و من النخيلة بعث الامام برسائله الى ولاته على المدن و الاقاليم الاسلامية بالقدوم.

و بدأت الحشود العسكرية تتجمع من مختلف الأقاليم و فى طليعة من استجاب لدعوة الامام مدينة البصرة، حيث لبى الأحنف ابن قيس نداء الامام.

و فى النخيلة القى الامام خطابا أوضح فيه خطته فى الزحف باتجاه الشام قائلا: الحمد لله كلما وقب ليل و غسق...و الحمد لله كلما لاح نجم و خفق...و الحمد لله غير مفقود الانعام؛ و لامكافأ الافضال.

اما بعد...

فقد بعثت مقدمتى و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط (شاطى الفرات) حتى يأتيهم امرى...

و قد رأيت أن اقطع هذه النطفة (نهر الفرات) الى شرذمة منكم، موطنين أكناف دجلة، فأنهضم معكم الى عدوكم و اجعلهم

[صفحه ۱۱۰]

من امداد القوة لكم. [۸۷] .

و انطلقت مقدمة الجيش تطوى المسافات، و كانت المقدمة تتألف من ۱۲۰۰۰ مقاتل فى قوتين منفصلتين يقودهما كل من زياد ابن النضر و شريح بن هانى و زودهما بتعليماته الحربية التى يغلب عليها استراتيجيته فى الدفاع و تفادى الاصطدام ما امكن.

قال الامام و قد وقف القائدان امام باحترام:

ليسر كل واحد منكم منفردا عن صاحبه؛ فان جمعتكما حرب فأنت يا زياد الأمير...و اعلما أن مقدمة القوم عيونهم، و عيون المقدمة طلائعهم، فاياكما أن تسأما عن توجيه الطلائع..و لاتسيرا بالكتائب و القبائل من لدن مسيركما الى نزولكما الا بتعبية و حذر، و اذا نزلتماه بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم فى اشرف المواضع، ليكون ذلك كم حصنا حصينا، و اذا غشيكم الليل، فحفوا عسكركم بالرماح و الترسة، و ليليهم الرماة، و ما اقمتم فكذلك فكونوا..لئلا يصاب منكم غرة، واحرساه عسكركما بأنفسكما، و لاتذوقا نوا الا غرارا و مضمضمة، و ليكن عنى خبركما، فانى و لاشى ء الا ما شاء الله حثيث السير فى اثركما، و لاتقاتلا حتى تبدأ أو يأمتيكما أمرى ان شاء الله..

[صفحه ۱۱۱]

و مرت ثلاثة أيام على تحرك مقدمة الجيش، و فى اليوم الثالث تحرك جيش الامام بكل فيالقه التى ناهز عدد مقاتلها الثمانين ألف...حتى اذا أطلت على خرائب مدينة «بابل» [۸۸] أمر الامام بالاسراع فى اجتيازها قائلا:

«ان هذه مدينة قد خسف بها مرارا، فحركوا خيلكم، و أرخوا اعنتها حتى تجوزوا موضع المدينة، لعلنا ندرك العصر خارجا منها».و فى مدينة الرقة عبر الامام بجيشه نهر الفرات؛ و فى مكان يدعى سور الروم اصطدمت مقدمة جيشه بفرسان الشام يقودهم أبو الأعور السلمى؛ و وصلت انباء ذلك للامام على فأمر قائده الشجاع مالك الاشتر بالاسراع و قيادة المقدمة.

و اشتبك الفريقان الى الليل...

و فى غمرة الظلام فضل قائد مقدمة الشام الانسحاب...

و العودة الى معاوية و كان جيوشه قد بسطت سيطرتها عى مصادر المياه فى شواطى الفرات فى وادى صفين [۸۹] الفسيح، و يبدو من خلال ما ورد فى بعض المصادر التاريخية ان المنطقة التى احتلتها كتائب من جيش معاوية كانت منطقة مشجرة كثيفة، ما خلا طريق مرصوف بالحجارة يتوسط تلك المنطقة المليئة

[صفحه ۱۱۲]

بالاوحال؛ و من هنا فان احتلال ذلك الطريق يعنى السيطرة على منابع المياه، و هذا ما فعله جيش معاوية؛ فكشف بذلك عن اخلاقية هابط فى مبادى الحرب؛ علما بان الامام و حتى تلك اللحظة لم يعلن الحرب، و كان يؤكد على وجود فرصة للتفاهم و حل الأزمة بالطرق السلمية.

وصلت جيوش الخلافة وادى صفين فوجدت قوات [۹۰] معاوية قد احتلت القرية [۹۱] .

و سيطرت على الطريق الوحيد الذى يؤدى الى ضفاف الفرات.

الظامئون

ارسل الامام صعصعة بن صوحان و كان صحابيا جليل القدر الى معاوية و حملة رسالة شفهية قائلا:

«ايت معاوية فقل له: انا سرنا اليكم لنعذر قبل القتال فان قبلتم كانت العافية احب الينا....و أراك قد حلت بيننا و بين الماء، فان كان اعجب اليك أن تدع ما جئنا له، و نذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا».

و اجتمع معاوية مع اركان حربه للتدارس حول الموضوع،

[صفحه ۱۱۳]

و سيطرت على الاجتمع روح من الحقد الدفين و الدناءة و الغدر و القسوة..باستثناء عمرو بن العاص الذى اعتبر خطوة معاوية خطوة حمقاء قائلا:

أرى أن تخلى عن الماء، فان القوم لن يعطشوا و انت ريان.

غير أن معاوية الذى عجنت روحه بالاطماع و الغدر استجاب الى آراء تنضح حقدا و انتقاما [۹۲] .

و ادرك موفد على عليه‌السلام أن معاوية سوف يشدد قبضته على النهر...فعاد الى المام يحيطه علما.

و تمر الساعات بطيئة قلقة...و قد استبد بجنود الامام الظمأ...و كان على من يريد الماء أن يقطع مسافة ۱۲ كم من اجل الحصول قطرات تطفىء لهيب الأعماق فى ذلك الصيف الملتهب. [۹۳] .

و مرت ثلاثون ساعة، و قد لاحت فى الافق ملامح الكارثة - و فى اللحظات الأولى من الفجر ألقى الامام فى كتيبة مالك الأشتر المؤلفة من الفرسان كلمات تتألق بسالة.

قد استطعموكم القتال...فاقروا على مذلة و تأخير محلة..أو رووا السيوف من الدماء تروا من الماء..

[صفحه ۱۱۴]

ثم دوت كلماته الخالدة:

فالموت فى حياتكم مقهورين و الحياة فى موتكم قاهرين.

و شن سلاح الفرسان هجوما صاعقا و دارت معركة ضارية، و بدأت خطوط العدو تزلزل لعنف الهجمات،و اقتحم المهاجمون شواطى النهر، و غمست خيول لعى اقدامها فى المياه الباردة.

على... المجد الأخلاقى

اضاف على بن أبى‌طالب عليه‌السلام نصرا خلاقيا كبيرا الى مجده العسكرى...فاصدر أوامره الى قواته المرابطة فى «الشريعة» [۹۴] بالتزود بالماء و الانسحاب و فتح الطريق امام جنود الخصم بارتياد النهر.

تلقى معاوية نبأ هزيمة قواته بهلع، فلقد اصبح مصيره و طموحاته على كف عفريت؛ فاستدعى على الفور مستشاره و معاونه عمرو بن العاص و قال بقلق:

ما ظنك بعلى؟!

اجاب ابن العاص و هو يدرك تماما اخلاقية على:

ظنى أنه لايستحل منك ما استحللت منه..لأنه أتاك فى غير الماء.

[صفحه ۱۱۵]

و شهدت الطريق المرصوفة بالحجارة «السقائين» من الفريقين و هم يتجهون الى شواطىء الفرات للتزود بما يلزمهم من المياه [۹۵] و قد احدثت مواقف الامام الانسانية أثرا محدودا فى صفوف الشاميين اذ شهدت ليالى صفين محاولات تسلل من المواقع الشامية الى معسكر الامام، و فى كل الأحوال فالذين اختاروا الدنيا كانوا يتطلعون الى معاوية أما الذين أرادوا الآخرة و سعوا لها سعيها فكانوا يجدون طريقهم على خطى على عليه‌السلام مع التأكيد على وجود المخدوعين و هم الغالبية فى جيش معاوية و وجود الحمقى و الأغبياء فى جيش الامام و كان هؤلاء يمثلون شريحة فاعلة لها شأنها.

تقارير من قلب المعركة

عاد الهدوء المشوب بالحذر مرة أخرى الى أرض صفين و لم تحدث اشتباكات تذكر.و جرت خلال تلك الفترة مراسلات بين الفريقين لم تسفر عن نتيجة: و من الطبيعى أن تصطدم المطامع و الأهواء بالمبادى و القيم و الدين الحق؛ و لهذا لم يجد الامام حلا مع هذا الوالى المتمرد الا الحرب أوالكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله كما عبر عن ذلك

[صفحه ۱۱۶]

الامام فى مناسبة من الصراع المرير.

و خلال الفترة التى سبقت الأشهر الحرم شد وادى صين ما يقرب من ثمانين اشتباك محدود على مستوى الكتائب، و كان «القراء» [۹۶] فى كل مرة يتدخلون لوقف القتال و البحث عن طريق سلمى لحل الصراع.

انسلخت الاشهر الحرم، واطل شهر صفر، و تمر الأيام، دون أن تلوح فى الافق بوادر للحرب، و يبدو أن اصحاب الامام قد استبطأوا قيادتهم فى اصدار الأوامر بالهجوم، و انتشرت شائعات حول شك الامام فى مشروعة قتلا «القاسطين» [۹۷] و قد رد الامام على ذلك بقوله:

اما قولكم أكل ذلك كراهية الموت؟ فو الله ما أبالى دخلت الى الموت أو خرج الموت اليل، و اما قولكم شكا فى أهل الشام! فو الله ما دفعت الحرب يوما الا و أنا اطمع أن تلحق بى طائفة فتهتدى بى، و تعشوا الىضوئى، و ذلك احبى الى من أقتلها على ضلالها و ان كانت تبوء بآثامها.

و فى الغروب وقف جندى جهورى الصوت قريبا من معسكر القاسطين و هتف بأعلى صوته ناقلا انذار الامام:

[صفحه ۱۱۷]

انا امسكنا لتنصرم الأشهر الحرم، و قد تصرمت، و انا ننبذ اليكم على سواء، ان الله لايحب الخائنين.

و اعلنت فى المعسكرين حالة التعبئة العامة، و ا شتعلت النيران، ايذانا بخوض حرب شاملة.

و ما أن اشرقت شمس اليوم التالى حتى كان الجيشان يقفان على اهبة الاستعداد، و قد سيطرت حالة من الوجوم و الرهبة، أن من يقف فوق الروابى المشرفة على الوادى الفسيح سوف يرى كتائب الجيشين تصطف فى شكل لخطوط قتالية و لرأى فى كل جيش سبعة خطوط، سيرى خطين فى الجناح الأيمن، و خطين فى الجناح الأيسر و ثلاثة خطوى فى القلب.

عين الامام على سلاح الفرسان فى جيشه الصحابى الكبير عمار بن ياسر [۹۸] الذى لم تمنعه شيخوخته [۹۹] من الاشتراك فى المعارك بحماس المؤمن المجاهد الذى لايساوره الشك فى عدالة قضيته.

و عين على المشاة عبدالله بن بديل، و دفع الراية العظمى الى هاشم بن عتبة المرقال.

و فى جيش معاوية كان عمرو بن العاص يقود سلاح الفرسان

[صفحه ۱۱۸]

أما مسلم بن عقبة [۱۰۰] الذى اشتهر فى التاريخ بمجرم بن عقبة فقد تصدى لقيادة المشاة.

و لم يحدث اشتباك ذلك اليوم [۱۰۱] ثم حدث اشتباك محدود فى صباح اليوم الذى يليه.

و خرج فى يوم آخر عمار بن ياسر يقود مجموعة من الفرسان فتصدى له عمرو بن العاص و فى يده راية سوداء و صاح:

هذا لواء عقده رسول‌الله.

فعلق الامام قائلا:

انا اخبركم بقصة هذا اللواء: هذا لواء عقده رسول‌الله صلى الله عليه وآله و قال من يأخذه بحقة؟ فقال عمرو: و ما حقه يا رسول‌الله؟ قال: «لاتفر به من كافر و لاتقاتل به مسلما»..و لقد فر به من الكافرين فى حياة رسول‌الله و قد قاتل به المسلمين اليوم.

و خرج عبدالله بن بديل و كان من افاضل اصحاب الامام يقود مجموعة من فرسان العراق فانبرى اليه أبو الأعور السلمى فى مثل ذلك من أهل الشام و جرت معارك بين الفريقين، و فى تلك اللحظات و الاشتباكات مستمرة قام عبدالله بحركة جريئة اذ الهب ظهر حصانه بالسوط و شن هجوما صاعقا مخترقا خطوط العدو

[صفحه ۱۱۹]

و لم يتمكن أحد من اعتراضه و كان هدفه اقتحام مقر القيادة [۱۰۲] .

حتى اذ وصل قريبا منها تعرض الى عشرات الصخور فسقط شهيدا...و لقد أثار هجومه الجرى اعجاب الجميع بما فى ذلك معاوية نفسه اذ قال و هو يقف متأملا جثمانه الطاهر:

هذا كبش القوم.

فروسية

عرض الامام على عليه‌السلام على معاوية و قد آلمه سقوط القتلى من الفريقين.قائلا: لم نقتل الناس بينى و بينك؟ ابرز الى فأينا قتل صاحبه تولى الأمر.و استشار معاويةابن العاص:

ما ترى.

قال ابن العاص بخبث:

قد انصفك الرجل.

فقال معاوية بحقد:

اتخدعنى عن نفسى، و لم ابرز اليه و دونى «عك و الاشعرون» لقد كان معاوية يدك تماما بان مواجهة على تعنى مواجهة الموت

[صفحه ۱۲۰]

الأحمر.

و يبدو أن معاوية قد ازعجه موقف ابن العاص و شكك فى نواياه تجاهه، و لم يجد الأخير بدا و من اجل اعادة المياه الى مجاريها من أن يقول لمعاوية بعد أيام من البرود فى العلاقات:

سأخرج الى على غدا.

كان عمرو قد اعد عدته و كان يعرف نقطة الضعف فى خصمه العظيم.انها تمكن فى مجده الأخلاقى الذى يستمده من معلمه الأول..و برز عمرو بن العاص متحديا عليا:

يا أباالحسن اخرج الى أنا عمر بن العاص...

و خرج بطل الاسلام، و قد تألق ذو الفقار فى قبضة الفارس الذى لايهزم؛ و ما اسرع أن زج ابن العاص بسلاحه السرى! فكشف عن عورته و اظهر سوأته، و نجا من الموت المحقق!

و فر عمرو مذعورا و ربما مسرورا.

و تلقى معاوية قائد فرسانه! بلهجة فيها تهكم و سخرية قائلا:

احمد الله و سوداء استك يا عمرو. [۱۰۳] .

[صفحه ۱۲۱]

بدء الحرب الشاملة

تصاعدت حدة المعارك بين الفريقين، و سرى شعور بالرهبة بعد أن اشيع عن نية الامام فى بدء الهجوم العام، فقد خطب عشية الهجوم قائلا:

ألا انكم ملاقو القوم غدا بجميع الناس، فاطيلوا الليلة القيام و اكثروا تلاوة القرآن و سلو الله الصبر و العفو و القوهم بالجد...»

و فى الجانب الآخر ضاعف معاوية رواتب قبائل عك والاشعرين [۱۰۴] التى اقسمت على الصمود حتى النفس الأخير. [۱۰۵] .

أدى الامام صلاة الفجر فى لحظاته الأولى و قام بجولة لاستطلاع كتائب العدو، و اجرى تغييرات فى صفوف قواته.و لأول مرة منذ اندلاع المعارك قاد الامام سلاح الفرسان المؤلف من اثنى عشر ألف مقاتل فى هجوم مدمر، و دوت فى الفضاء هتافات: الله أكبر..و ارتجت الأرض تحت اقدام المحاربين....و كانت خطة الهجوم تقضى بالاندفاع الكاسح حتى مركز القيادة، و قد تمكن المهاجمون من تمزيق صفوف العدو حتى أن معاوية أمر بتجهيز فرسه للفرار بعد أن جرت الاشتباكات قريبا منه.

و استمرت المعارك حى الليل و قد اسفرت الاشتباكات العنيفة عن سقوط عشرات القتلى و الجرحى؛ و فى طليعتهم

[صفحه ۱۲۲]

الصحابى البطل عمار بن ياسر. [۱۰۶] .

و فى صباح اليوم التالى استمر وقف القتال لانتشال جثث القتلى و مواراتهم الثرى.

و فى عشية ذلك اليوم خطب الامام ايضا حاثا قواته على الاستبسال:

ايها الناس اغدوا على مصافكم، و ازحفوا الى عدوكم، غضوا الأبصار، و اخفضوا الأصوات، و اقلوا الكلام، و اثبتوا، و اذكرو الله كثيرا، و لاتنازعوا فتفشلوا، و تذهب ريحكم، و اصبروا ان الله مع الصابرين.

و فى اليوم التالى اشتبكت الفيالق فى ملحمة عظيمة و اندفع الجناح الأيسر فى جيش الشام فى هجوم عنيف لم يصمد له الجناح الأيمن فى جيش الامام، فأمر الامام أحد قادته [۱۰۷] باسناد

[صفحه ۱۲۳]

الجناح الايمن و دارت معارك رهيبة، و كلف الامام قائده الشجاع الاشتر باعادة قطعاته الى مواقعها، فنجح فى مهمته بعد أن قاد هجوما جريئا اجبر فيه العدو على التراجع.

كان الوقت اصيلا عندما هدأت حدة القتال و جاء الامام فأنب قواته فى الجناح الأيمن على تقهقرهم فى بدء المعركة و اشاد باستعادتهم زمام المبادرة:

و قد رأيت جولتكم، و انحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفاة الطغام و أعراب أهل الشام، و انتم لهاميم العرب، و يآفيخ أن رأيتكم و الأنف المقدم، و السنام الأعظم و لقد شفى و حاوح صدرى أن رأيتكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم، و تزيلونهم عن واقفهم كما أزالوكم حسا بالنصال، و شجرا بالرماح، تركب أولادهم أخراهم كالابل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها و تذاد عن مواردها [۱۰۸] .

و اشتعلت المعركة مرة اخرى و عندما كامت الشمس تجنح للمغيب قاد الامام بنفسه قواته فى هجوم كاسه و كان هدفه احتلال مركز قيادة العدو، كان معاوية يراقب المعركة بذعر و هو يرى تقدم المهاجمين فاستشار عمرو بن العاص قائلا:

ما ترى؟

[صفحه ۱۲۴]

اجاب ابن العاص:

أرى أن تخلى سرادقك.

و انسحب معاوية الى مكان أكثر أمنا.

و ماهى الا لحظات حتى وصل الامام و معه قواته [۱۰۹] فاطبقوا على مركز القيادة و حولوه الى انقاض..و غمر الأرض الظلام فتوقفت المعارك.

و جيء الى الامام باحد الاسرى فقال الاسير متضرعا:

لا تقتلنى صبرا.

فقال الامام:

لا اقتلك صبرا انى اخاف الله رب العالمين.

و اردف و هو يحاول اضائة قنديل فى قلب اسيره:

خلوا سبيله... [۱۱۰] .

و انطلق الأسير و قد هزته المفاجاة.

الموت من اجل الخلود

اشتعلت المعارك مرة أخرى، و كانت كفة النصر تميل الى جانب الحق [۱۱۱] و شوهد الامام و هو يقاتل ببسالة و كانت اقوى

[صفحه ۱۲۵]

ضربات بعد مصرع عمار بن ياسر.

و هتف الامام: من يبايعنى على الموت...فتقدم العشرات يبايعون الامام على الموت الأحمر من اجل خلود اخضر حتى وصل عددهم تسعا و تسعين...

فقال الامام و هو يترقب تحقق نبوءة ابن عمه العظيم:

أين تمام المئة؟...اين الذى وعدت به؟

و جاء رجل عليه اطمار صوف..كان محلوق الرأس لكأنه عاد توا من حج البيت العتيق...تقدم فبايع الامام على الموت قتلا...

فسأله الامام عن هويته، فأجاب: أنا أويس القرنى. [۱۱۲] .

[صفحه ۱۲۶]

الليلة الطويلة

و صلت الحرب اخطر منعطفاتها، و ألقى الامام خطابا يزخر حماسا و ايمانا جاء فيه:

معاشر المسلمين! استشعروا الخشية...و تجلببوا السكينة و عضوا على النواجذ، فانه انبى للسيوف عن الهام...و اكملوا اللأمة..و قلقوا السيوف فى اغمادها قبل سلها...و اعلموا أنكم بعين الله، و مع ابن عم رسول‌الله، فعادوا الكر و استحيوا من الفر، فانه عار فى الأعقاب و نار يوم الحساب...و طيبوا عن انفسكم نفسا و امشوا الى الموت مشيا سحجا...

و مرة أخرى أكد الامام هدف الهجوم القادم:

و عليكم بهذا السواد الأعظم، و الرواق المطنب؛ فاضربوا ثبجه، فان الشيطان كامن فى كسره، و قد قدم للثوبة يدا و أخر للنكوص رجلا، فحمدا حمدا! حتى ينجلى لكم عمود الحق «و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يتركم اعمالكم»

و فى غبش الفجر بدأ الهجوم الشامل، و تزلزلت خطوط الدفاع فى جيوش الشام، و كان الامام قد خرج فى اجمل منظر...فقد ركب فرسا للنبى يسمى «الريح» و قدم بين يديه بغلة النبى «الشهباء» و ارتدى عمامة رسول‌الله، و توهجت فى اذهان المؤمنين ذكريات مضيئة

لرسول السماء، و ها هو على يقودهم فى ذات الطريق التى سار عليها نبيهم العظيم.

[صفحه ۱۲۷]

و استبد بمعاوية الهلع و هو يرى تقهقر قواته تحت ضربات المهاجمين، و امسك بزمام فرسه و قد قفز قلبه الى حنجرته وراح يدق بعنف كطبل مجنون..

و لم تفلح أوامر معاوية و لاصيحاته بعمرو أن يقدم قبائل «عك الاشعرين» فى تغيير الموقف.

و استمرت المعارك ستة و ثلاثين ساعة لايسمع فيها سوى «الهرير» [۱۱۳] و بين الفينة و الأخرى كانت تدوى هتافات على: الله أكبر [۱۱۴] حتى بلغت اكثر من خمسمئة.

و لم تفلح مساعى معاوية فى وقف القتال و توقيع هدنة مؤقته...

و الى جانب معاوية قف الرجل الذى باع آخرته بدنيا غير..

كان يفكر فقتل كيف فكر ثم قتل كيف فكر...

التفت معاوية الى صاحبه و قد استبد به يأس قاتل:

ما ترى؟...فانما هو يومنا هذا و ليلتنا هذه!

و هنا نفث الشيطان فقال و هو يعرف كيف يطعن عليا فى خاصرته:

انى اعددت حيلة ادخرتها لمثل هذا اليوم.

[صفحه ۱۲۸]

قال معاوية متلهفا:

ما هى؟

تدعوهم الى كتاب الله حكما بينك و بينهم...

و اضاف بمكر:

فان قبلوه اختلفوا، و ان ردوه تفرقوا.

و اتسعت عينا معاوية دهشة و اصحبتنا أكثر جحوظا [۱۱۵] .

و على وجه السرعة جمعت المصاحف فى واحدة من اكبر المهازل فى التاريخ...و ظهر مصحف دمشق الأعظم تحمله خمسة رماح طويلة.

مهزلة التحكيم

كان لظهور المصاحف على الرماح [۱۱۶] الأثر البالغ فى شل العمليات الحربية، و بدأت كلمات الاستنكار تشق طريقها ترشق الذى يريدون للحرب أن تستمر، و ما اسرع أن ظهر تيار عنيف يدعو الى وقف القتال فورا، و حدث النشقاق خطير فى صفوف جيش الخلافة، ما لبث أن تحول الى كتلة عسكرية تهدد و تتوعد القيادة العليا.

[صفحه ۱۲۹]

و بذل الامام قصارى جهده فى توضيح خفايا «اللعبة» قائلا:

عباد الله! امضوا على حقكم و صدقكم فى قتال عدوكم، فان معاوية و عمرو بن العاص و ابن ابى‌معيط و حبيب بن مسلمة و ابن ابى‌سرح و الضحاك بن قيس...ليسوا باحصاب دين و لا قرآن....

انا اعرف بهم منكم..قد صحبتهم اطفالا، و صحبتهم رجلا فكانوا شر اطفال و شر رجال...

و يحكم! انهم ما رفعوها لكم الا خدعة و مكيدة!

غير أن الذين لا يدركون من الامور الا مظاهرها الفارغة قد جعلوا اصابعهم فى آذانهم و اصموا اسماعهم، وازدادوا عنفا و شراسة فاحدقوا بالامام و قد برق الشر فى عيونهم. [۱۱۷] .

و قد حدث تماسك مدهش فى صفوف أهل الشام اثر ارتفاع ذلك الشعار البراق..فى مقابل تمزق مريع فى جيش الامام.

كان الجناح الأيمن بقيادة مالك الأشتر ما يزال يقاتل بضراوة و يتقدم نحو احراز النصر النهائى فى خطى واسعة، و لكن التصدع كان قد عم جبهة الامام مما انذر بوقوع انهيار عام؛ و من تلك

[صفحه ۱۳۰]

اللحظات المثيره بدأت مأساة الاسلام و انهيار الحضارة. [۱۱۸] .

وازدادت الأمور سوء بعد أن أصبح الامام فى قبضة تلك الطغمة من الحمقى، و بات على القائد الأعلى للقوات المسلحة أن يستجيب الى مواقفهم، و ها هو الامام يتعب من ذلك فيقول:

لقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها؛ و اصبحت اخاف لم رعيتى.

و من تلك اللحظة شعر الامام بأن الباطل سوف يكسب الجولة الى حين:

اما و الذى نفسى بيده: ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لانهم أولى بالحق منكم، و لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم، و ابطائكم عن حقى..».

و أخذ تيار التمرد يتصاعد بشكل مخيف لينذر بوقوع كارثة بعد ان اطلقت تهديدات بقتل الامام اذا لم يصدر أوامره الى الاشتر بوقف العمليات الحربية و الانسحاب فورا.

و هكذا توقفت المعارك فى صفين...و نشطت الوفود للاعداد من اجل توقيع وثيقة التحكيم.

[صفحه ۱۳۱]

التاريخ يعيد نفسه

يعيد التاريخ نفسه احيانا فتظهر الحوادث و كأنها قد انبعثت من جديد، حتى فى بعض التفاصيل..لقد وضعت الحرب أوزارها فى صفين، و بدأ الاعداد لتوقيع وثيقة سلام بين الفريقين المتصارعين؛ و هنا يطل التاريخ ليعيد ذكريات صلح قديم بين الاسلام و الوثنية، فى وادى الحديبية [۱۱۹] قريبا من مكة المكرمة.

ها هو أبوسفيان يرسل سهيل بن عمرو ممثلا للوثنية لتوقع معاهدة سلام مع النبى صلى الله عليه وآله؛ و اليوم بعث معاوية بن أبى‌سفيان عمرو ابن العاص ممثلا للقاسطين لتوقيع هدند مع وصى النبى و أول [۱۲۰] من اسلم من الرجال.

جاء عمرو دخل خيمة الامام، و بدأ الكاتب فى تحرير وثيقة التحكيم فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه أميرالمؤمنين على بن ابى‌طالب و معاوية ابن ابى‌سفيان.و هنا تدخل عمرو بن العاص معترضا على الكاتب:

هو اميركم أما أميرنا فلا...بل اكتب اسمه و اسم ابيه.

[صفحه ۱۳۲]

و تردد الوفد العراقى و اصيب بما يشبه اللوعة.قال الأحنف ابن‌قيس: لاتمحو أميرالمؤمنين..يا أميرالمؤمنين.

فقال على عليه‌السلام: الله أكبر سنة بسنة رسول‌الله...و الله انى لكاتب رسول‌الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية.فكتب محمد رسول‌الله فقالوا: لست برسول‌الله و لكن اكتب اسمك و اسم ابيك، فأمرنى رسول‌الله أن أمحوها فقلت: لااستطيع، فمحاها بيده..ثم قال لى: انك ستدعى الى مثلها فتجيب.

و تناول الامام وثيقة التحكيم و محا اميرالمؤمنين منها...

فقال عمرو بخبث:

سبحان الله اتشبهنا بالكفار و نحن مؤمنون. [۱۲۱] .

فقال على بغضب:

يابن النابغة و متى لم تكن للفاسقين وليا و للمؤمنين عدوا؟

فنهض ابن‌العاص منزعجا:

و الله لايجمع بينى و بينك مجلس بعد اليوم.

أجاب الامام:

انى لاارجو أن يطهر الله مجلسى منك و من أشباهك.

و هكذا حررت وثيقة التحكيم.

[صفحه ۱۳۳]

الأربعاء ۱۳ صفر سنة ۳۸ ه.مصرع حضارة

هل كان الاشعث [۱۲۲] يمثل نفسية مجتمع لم يعد يستسيغ عدل على لكى يظهر بكل هذه القوة فيقف فى وجه على؟.

هل كان الأشعث يمثل ارادة امة اخلدت الى الأرض و كانت تنتظر الى السماء فاذا بها تجعل منم معاوية ندا لعلى [۱۲۳] ؟ ها هو على يجلس فى خيمته ليوقع وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه على بن أبى‌طالب و معاوية بن أبى‌سفيان قاضى على على أهل العراق و من معهم و قاضى معاوية أهل الشام و من

معهم..

اننا ننزل عند حكم الله و كتابه..فنحيى ما أحيا و نميت ما أمات فما وجد الحكما فى كتاب الله وهما أبوموسى الأشعرى عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص، عملا به، و ما لم يجدا فى كتاب الله فالسنة العادلة.

و اخذ الحكمان من على و معاوية و من الجندين المواثيق انهما امينان على انفسهما و اهلهما و الأمة لهما انصار على الذى

[صفحه ۱۳۴]

يتقاضيان عليه و أجلا القضاء الى رمضان من هذه السنة [۱۲۴] و ان احبا أن يؤخراه أخراه.

كتب فى يوم الأربعاء ۱۳ صفر سنة ۳۸ ه

و بعد توقيع الوثيقة انسحبت الجيوش، و عاد على الى الكوفة و رفضت بعض الفضائل دخول الكوفة و «خرجت» عن طاعة الامام. [۱۲۵].

و منذ تلك اللحظة و على يتلقى الطعنات المسمومة فيتأوه وحيدا.

الكارثة

اجتمع الحكمان فى «دومة الجندل» التى اختيرت جغرافيا كمكان وسط بين «العراق و الشام» بين على و معاوية فاختارها «التاريخ» ليمسك بالحضارة الاسلامية و يقذفها باتجاه الحضيض.

فما بين «صفين و «دومة الجندل» انفجرت كل اسباب الانحطاط فى حضارة الاسلام و ظهرت للعيان دمامل الجسد

[صفحه ۱۳۵]

الاسلامى بعد أن ظللت مستورة مدة ربع قرن أو تزيد. [۱۲۶].

سوف لن نواكب مسار المفاوضات بين عمرو بن العاص و أبىموسى الأشعرى، لان تأمل عابر فى شخصية الرجلين سوف يكشف بوضوح تام ما اسفرت عنه المباحثات التى لعبت فيها الأهواء و المطامع الدور أول و الأخير فى تحديد النتيجة.

لقد اجبر الامام على انتخاب الأشعرى كممثل له كما اجبر من قبل على وقف القتال والحق على ابواب النصر الساحق؛ و مراجعة بسيطة لتاريخ الأشعرى تكشف عن مدى الحقد الذى يكنه الأخير للامام.

ان احداثا كبرى و وقائع مزلزلة و ملابسات لا حد لها هى التى ادت الى وقف القتال و بدء سلسلة من المآسى انتهت بمصرع الامام على على ذلك النحو المؤسف و تنازل الامام الحسن عن الخلافة و من ثم استيلاء معاوية على دفة الأمور فى الدولة الاسلامية.

و اذا كان الاشعث قد تصدر الأحداث فى تلك الحقبة من

[صفحه ۱۳۶]

الزمن، و لعب دورا فى تصدع جبهة الامام واحداث انهيار فى الأوضاع لصالح معاوية فان ذلك لايدل على قابليات ذاتية بقدر ما يدل على مجمل التغيرات النفسية و الفكرية و الاجتماعية التى طبعت عصر الامام. [۱۲۷].

رياح الزمهرير

شهدت دومة الجندل بدء المباحثات السرية بين عقليتين ماكرة و غبيتة، تتحركان فى اطار دنيوى رخيص، و قد وضح منذ البداية انهما وضعا كتاب الله فوق الرف.فممثل أهل الشام يتحرك باتجاه مصر، يريد ابتلاعها كجزء من الاسلاب؛ و أبوموسى كان

[صفحه ۱۳۷]

يتحرك باتجاه صهره [۱۲۸] على ابنته ليكون خليفة للمسلمين، و هكذا اجتمعت الارادتان على اقصاء على، كما اقصى عن حقه من قبل.

لم يواجه عمرو بن العاص داهية العرب أية صعوبة فى احتواء عقيلة ابى موسى الفارغة، و قيادته باتجاه النقطة اليت يريد.لقد ادرك ابن‌العاص كيف يتغلغل فى اعماق صاحبه و يأخذ بناصيته.و بدأ سير المحادثات كما وصفها احد المؤرخين. [۱۲۹] .

عمرو بن العاص يتفنن فى ابراز آيات الاجلال لابى موسى فيقول:

صحبت رسول‌الله صلى الله عليه وآله قبلى و انت أكبر سنا منى..

قال الأشعرى و هو يدخل فى صلب الموضوع:

يا عمرو: هل لك فيما فيه صلا الأمة و رضى الله؟

ما هو؟

نولى عبدالله بن عمر، فانه لم يدخل نفسه فى شىء من هذه الحروب.

قال عمرو بخبث:

أين أنت من معاوية؟

ما معاوية موضعالها، و لا يستحقها بشى من الأمور.

[صفحه ۱۳۸]

الست تعلم أن عثمان قتل مظلوما؟

بلى.

فان معاوية ولى عثمان، و بيته بعد فى قريش ما قد علمت، فان قال الناس: لم ولى الأمر و ليست له سابقة؟ فان لك فى ذلك عذرا تقول: انى وجدته ولى عثمان و الله تعالى يقول: «و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا»...و هو مع هذا أخو أم‌حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وآله..و هو أحد اصحابه..

أجاب أبوموسى:

اتق الله يا عمر..اما ما ذكرت من شرف معاوية، فلو كان يستوجب بالشرف الخلافة، فكان احق الناس بها أبرهة بن الصباح فانه من ابناء ملوك اليمين التابعة الذين ملكوا شرق الأرض و غربها...ثم أى شرف لمعاوية مع على بن ابى‌طالب؟ و اما قولك ان معاوية ولى عثمان فأولى منه ابنه عمرو، و لكن ان طاوعتنى احيينا سنة عمر بن الخطاب و ذكره بتوليتنا ابنه عبدالله الحبر..

و هنا ينبرى ابن العاص ليدفعه بالاتجاه البعيد:

فما يمنعك من ابنى عبدالله مع فضله و صلاحه و قديم هجرته و صحبته؟

ان ابنك رجل صدق، و لكنك قد غمسته فى هذه الحروب غمسا...هلم نجعلها للطيب بن الطيب عبدالله بن عمر.

يا أباموسى انه لايصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان

[صفحه ۱۳۹]

يأكل باحدهما و يطعم بالآخر.

و يحك يا عمرو! ان المسلمين قد اسندوا الينا امرا بعد أن تقارعوا بالسيوف و تشاكوا بالرماح، فلا نردهم فى فتنة.

و تظاهر عمرو بن العاص بانه يبحث عن حل:

فما ترى؟

قال الأشعرى:

أرى نخلع هذين الرجلين عليا و معاوية ثم نجعلها شورى بين المسلمين، يختارون لانفسهم من احبوا.

وكاد عمرو أن يصفق فرحا، فتظاهر بصمت المغلوب:

رضيت بذلك..و هو الرأى الذى فيه صلاح الناس.

و بالرغم من كل التحذيرات حول مكر الن العاص و غدره و لكن الأشعرى كان قد أصم أذنيه عن سماع أية نصيحة [۱۳۰] .

و فى يوم شتائى و الريح تعوى فى الصحراء تقدم الأشعرى ليرقى المنبر و يعلن ما اتفق عليه الحكمان ان اللحظة التى ارتقى

[صفحه ۱۴۰]

فيها الاشعرى المنبر ليخلع عليا هى لحظة رهيبة، عوت فيها ريح الشتاء، و قد انقض قابيل على أخيه، و دل الاسخريوطى فيها على ابن مريم. [۱۳۱] .

و فر أبوموسى الى مكة يحمل معه عار الأبد و سبة الدهر؛ و عاد عمرو بن العاص الى دمشق ليسلم على «صاحبه» بالخلافة.

غارات الشتاء

و من تلك اللحظة بدأت حالة التداعى لامة فقدت صوابها فهى تتخبط فى طريق الهاوية.و لم يتمكن الامام من وقف حالة التداعى التى عصفت بالامة بعد أن فقدت وعيها و بصيرتها؛ لنصغى الى ما يقوله الامام فى ذلك المقطع التاريخى الهام:

كم ادريكم كما تدارى البكار العمدة [۱۳۲] و الثياب المداعية

[صفحه ۱۴۱]

كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر..الذليل و الله من نصرتموه.

و الامام يدرك الطريق الذى يصلح هذا القطيع و لكن:

و أنى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم..و لكن لا أرى أصلاحكم بافساد نفسى..

موقف الامام

تلقى الامام بحزن مرير انباء «دومة الجندل» هنا يقف امير المؤمنين موقف التسليم الكامل لارادة الله فالحياة رحلة الى الله:

الحمد لله و ان أتى الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجليل..

و اشهد أن لا اله الا الله لا شريك له ليس معه الى غيره...و ان محمد عبده و رسوله، صلى الله عليه وآله.

اما بعد...

فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة و تعقب الندامة.

و قد كنت امرتكم فى هذه الحكومة أمرى..

و نخلت لكم مخزون رأيى، لو كان يطاع لقصير أمر [۱۳۳] فابيتم على اباء المخالفين الجفاة، و المنابذين العصاة، حتى ارتاب

[صفحه ۱۴۲]

الناصح بنصحه، و ضن الزند بقدحه فكنت و اياكم كما قال أخو هوازن [۱۳۴] :

امرتكم امرى بمنعرج اللوى

فلم تستبينوا النصح الا ضحى الغد

الخوارج

و لقد استيقظ الخوارج و لكن فى ضحى الغد، و كانت يقظتهم عنيفة مجنونة مدمرة، و انطلقت صيحاتهم تهز دنيا الاسلام تريد اجتثاث شجرته من الجذور:

لا حكم الا الله!!

و بدأت العاصفة تزمجر لتطيح بالصرح الاسلامى بأسره، و انبرى الامام ليفقأ عين الفتنة و يوقف حالة التداعى و يفضح شعارهم الذى تحول الى وثن تذبح عنده الضحايا؛ قال الامام:

كلمة حق يراد بها باطل! نعم انه لا حكم الا الله، و لكن هؤلاء يقولون: لا امرة الا لله، و ان لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل فى امرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر، و يبلغ الله فيها الأجل و يجمع به الفى، و يقاتل به العدو، و تأمن به السبل، و يؤخذ به للضعيف من القوى، حتى يستريح بر ويستراح من فاجر» [۱۳۵] .

[صفحه ۱۴۳]

العودة الى صفين

أدان الامام موقوف الحكمين، و اعتبر ذلك منافيا للاسلام، و بدأ يتأهب للعودة الى صفين حيث انفجر الصراع من قبل [۱۳۶] .

و فيما كان الامام يعبىء قواته لاستئناف الحرب بدأ الخوارج تحركهم، و تعدوا نطاق التنديد بالتحكيم و الخلافة و نظرية القيادة و انتقلوا الى دائرة التخريب، و اعلنوا حربا شعواء على كل من لا يشاطرهم آراءهم و بدأوا يشكلون خطرا داهما لايقل عن خطر العدو المتربص فى دمشق.

و كان من رأى الامام تأجيل مشكلة الخوارج الى ما بعد تصفية الحساب مع معاوية، و لكن الانباء المثيرة التى وصلت حول الفظائع التى ينفذها الخوارج غيرت من مسار الأحداث الى نقطة انهيار دامية، و مرة أخرى حاول الامام أن يتفادى الاصطدام بهم، و ارسل اليهم يدعوهم للالتحاق لمحاربة العدو المشترك.

[صفحه ۱۴۴]

و وصل الحوار معهم الى طريق مسدود، و كان لا بد من مواجهتهم بعد أن استباحوا أمن المجتمع الاسلامى [۱۳۷] و هكذا غيرت الجيوش طريقها باتجاه النهروان حيث عسكر الخوراج.

و حاورهم الامام بنفسه و تمكن من اقناع قطاع كبير منهم اعلن توبته و عودته الى دائرة الشرعية فيما اصر أربعة الاف منهم على القتال.و وقف الامام يوجه لهم انذاره النهائى:

فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر، و باهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم، و لاسلطان مبين معكم: قد طوحت بكم الدار،و احتبلكم المقدار، و قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم على اباء المنابذين، حتى صرفت رأيى الى هواكم؛ و انتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الأحلام.

و اشتعلت المعركة عند جسر «النهروان» [۱۳۸] و كانت النتيجة مذهلة، فقد ابيد المارقون الا تسعة نفر فروا من ساحة المعركة و لم يستشهد من جيش الامام سوى تسعة نفر.

و عندما قال أحدهم: يا أمير المؤمنين! هلك القوم باجمعهم!

[صفحه ۱۴۵]

اجاب الامام و هو ينظر الى المدى البعيد:

كلا والله انهم نطف فى اصلاب الرجال و قرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين.

و بالرغم من تكفيرهم للامام فأنه أوصى الأمة بعدم قتالهم بعده مشيرا الى مصدر الخطر الداهم: لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه.

كان الامام يتحرك فى ضوء النور المنبعث من اعماق السماء النور الذى اضاء فوق جبل حراء و لم يكن ليأبه نالى ما يعده المنجمون من خرائط للسماء، و لتقترن الكواكب كيف تشاء و لينكفأ الميزان و لتنقدح الابراج بالنيران [۱۳۹] ، فطريق على هو طريق

[صفحه ۱۴۶]

الاسلام و طريق الرسالة.

غارات الزمهرير

ذر الشیطان قرنیه فراح یعربد و یدمر ها هی عواصف الزمهریر تهب من جهة الشام حیث جثم القاسطون علی ارض الاسلام؛ لقد أخلد الذین آمنوا الی الأرض، و رضوا بالحیاة الدنیا من الآخرة عوضا.

و من هنا بدأت تأوهات الامام و هو یعیش فی زمن جائر.

بدأت غارات الزمهریر، و الامام یقاوم العواصف وحیدا لقد اخلدت الأمة الی الأرض و ها هی الحضارة تتجه نحو الهاویة کشمس تجنح للمغیب فی یوم شتائی.

سقطت مصر [۱۴۰] فی قبضة ابن‌العاص و قد انشب معاویة مخالبه فی اهلها و ثرائها.

و هکذا توالت الغارات، تعصف بالمدن و الحواضر الاسلامیة

[صفحه ۱۴۷]

کریح مجنونة [۱۴۱] منذ أن حکم الحکمان بما خالف کتاب الله و سنة رسوله. [۱۴۲] .

لنصغی الی الامام علی و هو یشهد تلک الجرائم فلا یجد له ناصرا ها هو یواجه الأمة و قد دکت خیول الغارات الأنبار هیت:

ألا و انی دعوتکم الی قتال هؤلاء القوم لیلا و نهارا و سرا و اعلانا و قلت لکم: اغزوهم قبل أن یغزوکم، فو الله ما غزی قوم فی

[صفحه ۱۴۸]

عقر دارهم الا ذلوا..فتواکلتم و تخاذلتم حتی شنت علیکم الغارات، ملکت علیکم الاوطان.

و هذا أخوغامد و قد وردت خیله الانبار، و قد قتل حسان بن حسان البکری، و ازال خیلکم [۱۴۳] عن مسالحها...و لقد بلغنی أن الرجل منهم کان یدخل علی المرأة المسلمة و الأخری المعاهدة [۱۴۴] ، فینتزع حجلها و قلبها و قلائدها ورعثها، ما تمنع منه الا بالاسترجاع و الاسترحام ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلا منهم کلم [۱۴۵] ، لا أریق لهم دم فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما کان به ملوما بل کان عندی جدیرا.

ثم یعرب الامام عن عمق دهشته ازاء هذه الحالة المریرة، التی وصلت الیها الأمة:

«فیا عجبا!...عجبا..و الله یمیت القلب و یجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم علی باطلهم، و تفرقکم عن حقکم، فقبحا لکم و ترحا حین صرتم غرضا یرمی.یغار علیکم و لا تغیرون، و تغزون و لا تغزون، و یعصی الله و ترضون!...

و هنا تبلغ الآلام ذروتها فینفجر القلب الکبیر و یتشظی حمما فیخاطب الضمیر النائم بلهجة کلها غضب:

[صفحه ۱۴۹]

«یا اشباه الرجال و لارجال! حلوم الاطفال..و عقول ربات الحجال لوددت انی لمارکم و الم اعرفکم معرفة و الله جرت ندما و اعقبت ساما...قاتلکم الله! لقد ملأتم قلبی قیحا و شحنتم صدری غیظا، و جرعتمونی نغب التهام انفاسا...»

ثم یعبر عن مظلومیته و ضیاع عقله الکبیر وسط نقیق الحمقی، فیقول:

و افسدتم علی رأیی بالعصیان و الخذلان، حتی لقد قالت قریش: ان ابن ابی‌طالب رجل شجاع، و لکن لاعلم له بالحرب: لله أبوهم، و

هل أحد منهم اشد لها مراسا..و اقدم فيها مقاما منى! لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرفت على الستين...و لكن لارأى لمن لايطاع.

و ها هو الامام يقف حائرا، يتساءل عما ألم بالأمة، بينما الضحاك بن قيس يغير على قوافل الحجيج فى الشهر الحرام، ليبث الرعب فى أيام ارادها الله أن تكون مفعمة بالسلام:

أيها الناس المجتمعة ابدانهم..المختلفة أهواؤهم؛ كلامكم يوهى الصم الصلاب و فعلكم يطمع فيكم الاعداء!

تقولون فى المجالس كيت و كيت، فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد؟ ما عزت دعوة من دعاكم، و لااستراح من قاساكم، أعاليل باضاليل و سألتمونى التطويل، دفاع ذى الدين المطول...».

و تنفجر تساؤلات الامام لامظلوم:

[صفحه ۱۵۰]

لايمنع الضيم الذليل..و لايدرك الحق الا بالجد!..أى دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أى امام بعدى تقاتلون؟..المغرور و الله من غررتموه..و من فاز بكم فقد فاز – و الله – بالسهم الأخيب..

و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل...اصبحت و الله لااصدق قوكم؛ لااطمع فى نصركم؛ و لاأوعد العدو بكم...ما بالكم؟! ما دواؤكم؟! ما طبكم أ؟!

و تبقى تساؤلات الامام دون جواب؛ فيغضب من اجل الله و يحاول هز الضمير المثقل بالخدر..المصفد باغلال الخوف.

ما بالكم؟ أمخرسون أنتم؟!

و جاءه جواب واهن:

يا أميرالمؤمنين! ان سرت سرنا معك!!

يا لهذه الأمة؟! تطلب من امامها أن يترك كل شىء ليتصدى الى الغارات هنا و هناك، بينما معاوية يربض فى دمش يخطط كيف يقضم «تراث محمد صلى الله عليه وآله»:

ما بالكم لاسددتم لرشد: و لاهديتم لقصد! أفى مثل هذا ينبغى لى أن أخرج؟! و انما يخرج فى مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم و ذوى بأسكم، و لايبنغى لى ان أدع الجند و المصر و بيت المال و جباية الأرض و القضاء بين المسلمين والنظر فى حقوق المطالبين، ثم أخرج فى كتيبة اتبع أخرى..و انما أنا قطب الرحا تدور على و أنا بمكانى.

[صفحه ۱۵۱]

لقد بدأ عصر التيه وسوف تتوه امة الاسلام كما تاه قوم موسى من قبل تاهوا اربعين سنة، لنصغ الى الامام و هو يبشر بالتيه و الضياع لامة لم تعرف قدر امامها و راعيها فترته وحيدا فى مواجهة القاسطين!

ايها الناس لو لم تتخاذلوا نعن نصر الحق، و لم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، و لم يقو من قوى عليكم...لكنكم تهتم متاه بنى‌اسرائيل..

و لعمرى ليضعفن لكم التيه من بعدى اضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم.

و هكذا غطت الامه فى نوم عميق، و ضرب على آذانها فلم تعد تسمع كلمات آخر الاوصياء فى التاريخ.

ها هو الامام يستنهض فيهم بقايا الروح..يدعوهم لمواجهة الزمهرير القادم من ارض الشام حيث ربض الشيطان.

و لكن لاشيء سوى صمت المقابر.و قام رجل ليقول:

هأنذا و أخى فمرنا بأمرك..

فيقول الامام متأسفا:

و اين تقعان مما أريد؟

بل لقد وصل الامر أن دعاهم للجهاد و قد عصفت الغارات بالمدن و قتل نسوة و اطفال..

فلم يستجب أحد...فأخذ الامام سلاحه و مضى صوب

[صفحه ۱۵۲]

النخيلة وحيدا! [۱۴۶] .

و لكن عليا لم يكن الرجل الذى يخشى شيئا حتى لوظل وحيدا، و ها هى كلماته و هو يخاطبه اخاه و قد خوفه عواقب الطريق الذى سلكه دون مساومة أحد: «لايزيدنى كثرة الناس حولى عزة و لاتفرقهم عنى وحشة، و لاتحسبن ابن ابيك و لو اسلمه الناس متضرعا متخشعا، و لامقرا للضيم واهنا.

و هو الذى قال مرة:

«و الله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها».

الجمعة ۱۲ رمضان سنة ۴۰ ه

اطل رمضان بوجهه الكريم ليدخل الانسان المؤمن عوالم الملكوت، رياح شباط تجوس خلال المدينة المشهورة بالغدر. [۱۴۷] .

صام على بدأ رحلته الى الملكوت، يتضور جوعا، الجسد الآدمى يذوب أمام سطوح الروح و هى تتوهج كلما اقتربت ليلة القدر.

ها هو على يرتقى المنبر...فكأنه يتأهب للرحيل..كان

[صفحه ۱۵۳]

يرتدى قيمصا من صوف...فى رجليه نعلان من ليف خصفهما بنفسه...جبينه يتألق نورا من اثر السجود...حبس التاريخ انفاسه و هو يصغى الى كلمات رجل على و شك الرحيل:

«الحمد لله الذى اليه مصائرالخلق...و عواقب الأمر...»

«...لم يولد سبحانه فيكون فى العز مشاركا.و لم يلد فيكون موروثا...و لم يتقدمه وقت و لازمان..»

ها هو يذكر الناس بالرحيل..لقد أزفت الساعة:

أوصيكم عبادالله بتقوى الله الذى البسكم الرياش، و اسبغ عليكم المعاش؛ فلو أن احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام؛ الذى سخر له ملك لاجن و الانس مع النبوة و عظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته و استكمل مدته، رمته قسى الفناء بنبال الموت اصبحت الديار منه خالية و المساكن معطلة، و ورثها قوم آخرون و أن لكم فى القرون السالفة لعبرة!...

و هنا يفجر اسئلة التاريخ ليتساءل عن مصير حضارات سادت ثم بادت:

«أين العمالقة و ابناء العمالقة؟ اين الفراعنة و ابناء الفراعنة؟ اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، و اطفؤوا سنن المرسلين، و احيوا سنن الجبارين؟!../..اين الذين ساروا بالجيوش و هزموا بالألوف و عسكروا العساكر و مدنوا المدائن؟»

[صفحه ۱۵۴]

و ها هو يذكرهم بأنه و ريث الأنبياء و أنه آخر الأوصياء فهل ينتظرون من هو أهدى سبيلا:

ايها الناس: انى قد بثثت لكم المواعظ التى و عظ الأنبياء بها اممهم، و أدتى اليكم ما دت الأوصياء الى من بعدهم..لله انتم اتتوقعون اماما غيرى يطأبكم الطريق و يرشدكم السبيل؟!

لقد بدأ عصر الانحطاط فى اللحظة التى هوى فيها الشهداء فى «صفين»؛

ألا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا، و اقبل منها ما كان مدبرا، و ازمع الترحال عباد الله الأخيار، و باعوا قليلا من الدنيا لايبقى بكثير من الآخرة لايفنى...

ما ضر اخواننا الذى سفكت دماؤهم - و هم بصفين - ألا يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغصص و يشربون الرنق!...

ككأن الامام يتلفت هنا و هناك يبحث عن اخوان له طووا معه الطريق الى صفين: «اين اخوانى الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق؟

أين عمار؟

و أين ابن التيهان؟

و أين ذو الشهادتين؟

و أين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية و أبرد برؤوسهم الى الفجرة؟!»

[صفحه ۱۵۵]

و هنا يصل الامام الى ذروة التأثر، فيضرب على لحيته الكريمة..و يستغرق فى البكاء من أجل كل الذين رحلوا وجباههم الى الشمس فتنتعبث من أعماق قلبه الكسير آهة حرى:

أوه على اخوانى الذى تلو القرآن فاحكموه، و تدبروا الفرض فأقاموه..أحيوا السنة و أماتوا البدعة...دعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد فاتبعوه..

ثم اطلق صيحاته كأنه يخاطب التاريخ و الأجيال:

«الجهاد الجهاد عبادالله!...

ألا و انى معسكر فى يومى هذا؛ فمن أراد الرواح الى الله فليخرج!» [۱۴۸] .

صفين... هاجس العودة

سوف تبقى «صفين» ارض التاريخ..نقطة للحضارة و ميدانا للصراع..الصراع الخالد بين الخير و الشرور...و على الذين يريدون توجيه حضارة الاسلام من جديد أن يعودا الى صفين؛ اى خنادق الصراع..خلف «القائد» [۱۴۹] .

ها هو على يطالب الامة بالعودة الى صفين...لتحطيم

[صفحه ۱۵۶]

الاوثان البشرية...لاحراق العجل..و ليشهد رمضان انتصار الروح..انتصار محمد من جديد..و هزيمة ابناء الأحزاب [۱۵۰] .

ليالى البرد

رياح شباط الباردة ما تزال تجوس الازقة، ها هو آخر الأوصياء فى التاريخ...يخطو باتجاه الرحيل..ليالى رمضان تتألق بنور عجيب لاتستمده من ضوء القمر..و الاسحار تزخر بالنجوم كقلوب و اهنة تنبض من بعيد...تراقب من أغوارها السحيقة انسانا يحمل ميراث الأنبياء.

الرجل الذى طهرته السماء، يمضى لياله الأخيرة فى بيوت ابنائه وبنات...خاوى البطن [۱۵۱] لايفطر الى على كسيرات من خبز..الجسد البشرى يذوب تحت وهيج الروح العظيم...

الخميس ۱۸ رمضان ۴۰ هجرى

أفلت الشمس الخميس سريعا كطبعها فى أيام شباط..نسائم

[صفحه ۱۵۷]

باردة تهب من ناحية الشمال تبشر بليالى الزمهرير الطويلة؛ و كان الافق الغربى شاحبا فكأنه يعلن عن غد غائم.

السحر ظلمات يتراكم بعضها فوق بعض...و النجوم تشتد سطوعا فى سماء غارقة فى الليل...

الامام جالس فى المحراب، قد أوهنه السهر و الانتظار...هومت عيناه..ليلج عالما آخر..عالما شفافا...تدفق شلال من نور محمد...اضاءت روحه المترعة بالحزن ابتسامة آخر الأنبياء..حبيب الله..خف على للقاء الحبيب يشكو اليه و يلات الأرض...همس على بأسى: يا رسول‌الله، ماذا لقيت من امتك من الأود و اللدد؟! [۱۵۲] .

قال محمد صلى الله عليه وآله لأخيه:

ادع عليهم!

و وجد على نفسه يتضرع الى السماء يشكوها ظلم الأمة:

أبدلنى الله بهم خيرا منهم، و أبدلهم بى شرا لهم منى.

لقد استشرى الانحراف فى روح الأمة و باتت الأشياء ترى بالمقلوب، و من هنا كانت محنة على، و هو يشق طريقه على هدى محمد صلى الله عليه وآله فى درب قل سالكوه فاذا هو بين فريقين احدهما يكفر به و يكفره، و آخر يعبده [۱۵۳] .

[صفحه ۱۵۸]

اغتيال الشمس

تطلع على الى السماء الزاخرة بالنجوم..الفضاء مشحون بشيء عجيب..لكأن السماء تمس الأرض، أو أن الأرض تتعلق بالسماء..هتف على و الناس نيام:

انها الليلة التى وعدت فيها! و الله ما كذبت و لاكذبت..الظلمة تتكاثف الفجر مايزال يمزق حجب الظلام..و على يتخطى باحة المنزل و قد ولى وجهه شطر المسجد الأعظ..صاح الوز..كأنه يطلق استغاثة أو يحذر من المجهول؛ تمتم على:

صوائح تتبعها نوائح..

و مضى على يشق طريقه فى ظلمة الفجر..ازفت لحظة الرحيل..هناك فى زاوية من المسجد سيف مسموم..سيف يشبه ثعبانا منتفخا بالسم..

هتف امير المؤمنين ليوقظ النيام:

الصلاة! الصلاة! عباد الله!

تحرك الثعبان...تلوى...ظهر صوت يشبه فحيح الافاعى..صوت ابليس و هو ينفخ..صفير موحش و بريق مخيف..و سيف جبان يهوى باتجاه و جه ما سجد لغيره الله و تفجرت الآلام و هتف على و قد هوى فى المحراب: و قد غمرت وجهه و لحيته الدماء:

فزت و رب الكعبة: و ظهر ابليس ينظر بحقد الى آدم و قد اجتباه ربه...وبدا قابيل يتشظى غيظا و هو يرى قربان اخيه ترفعه

[صفحه ۱۵۹]

السماء...فسولت له نفسه قتل اخيه فقتله..فاظلمت الأرض و هبت عاصفة الزمهرير..

انطفأت قناديل المسجد..انكفأت الشموع..و فر الربيع و بدا محراب المسجد الاعظم خاويا تغمره ظلمة مخيفة..و على فى منزله يذوب جسده تحت وهج الروح و هى تتأهب للرحيل..

همسات قبل الرحيل

رغم كل الضجيج و الصخب الذى ضجت به تلك الحقبة من الزمنم...حيث عربدة الخنازير، و صخب الشهوات...و حمى اللذائذ..و كلن على كان يصغى الى نداءات قادمة من بعيد..انها نداءات الرحيل ها هو على يفلسف الحياة...يفضح كل بهارج الدنيا بكلمتين:

الرحيل و شيك [۱۵۴] .

حتى ان المرء ليحس سرعة الرحيل..من ايقاع الكلمة لكأنها سهم يخطف قرب الأذن...لاتشعر به و لاتسجل سوى صوت قصير..قصير للغاية...

و ها هو ينادى شهود عصره:

تجهزوا رحمكم الله! فقد نودى فيكم بالرحيل!..

[صفحه ۱۶۰]

لقد عاش على غريبا فى عصره..لم تكن غربته غربة وطن لقد فقد احبته..انه يحن اليهم يتمنى لقياهم..فيقول:

فقد الاحبة غربة..

كلمات تنضح حزنا و أسى..و لوعة و..

و عاش على يحارب الشرور...انه يعرف كيف يكافحها..يعرف أن ميدانها الأول فى اعماق النفس الانسانية..لهذا تراه يهمس بصوت هادى:

احمد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك...

و على يكشف للانسانية مأساة العقل البشرى أنها تكمن فى الاطماع..و ها هى العقول تتساقط أمام الاطماع..عندما تتحول الطموحات الرخيصة الى صواعق تنقض على العقول فتطفى فيها و هجها السماوى فيقول:

اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

و يقول:

الطمع رق مؤبد..

و يقول:

الطامع فى وثاق الذل.

و يلتفت الى رفاقه و قد مر بمزبلة فيقول:

هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس....

و هذا ما بخل به الباخلون.

[صفحه ۱۶۱]

و على يرسم اطريق لمن يريد أن يحيا كريما فيهمس فى الآذان الواعية:

من أشرف اعمال الكريم غفلته عما يعلم.

ويعلن رأيه فى الثراء الحقيقى قائلا:

كفى بالقناعة ملكا، و بحسن الخلق نعيما.

و على يرفع لواء الرحيل لأن:

الدنيا دار ممر لادار مقر..

و المجد لمن وعى كلمات على..فوهب لنفسه الحرية.

و على يثير اسئلة الانسان حول ظاهرة محيرة...عندما يسكت الانسان يفقد قدرته على النطق و التعبير؛ و يسكت خاشعا فى حضرة الموت...عندما يجلس الكائن البشرى و قد استسلم بذل؛ يتساءل على و هو يخاطب الانسان:

هل تحس به اذا دخل منزلا؟ أم هل تراه اذا توفى احدا؟ بل كيف يتوفى الجنين فى بطن امه؟!...أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح اجابته باذن ربها؟!...أم هو ساكن معه فى احشائها؟!...

و ينظر على الى السماء فتمتلى روحه اجلالا للواحد القهار فيقول:

كيف يصف اليه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟!

و ستبقى لحظة الموت ميعادا و موعدا...لغزا يحير الانسان.

و ستبقى النفس البشرية عاجزة عن اكتشاف ذلك المجهول

[صفحه ۱۶۲]

و قد قال خالق النفس و بارى الروح: (و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدرى نفس باى ارض تموت).

و ها هو على يخاطب الانسانية جمعاء:

«ايها الناس! كل امرى لاق ما يفر منه فى فراره.الأجل مساق النفس؛ و الهرب منه موافاته..»

كلما امعن الانسان فى فراره من الموت كلما اسرع فى خطاه نحو معانقة ما يفر منه..حتى لو اخفى نفسه فى البروج المشيدة.

فيقول على:

كم اطردت الأيام ابحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله الا اخفاءه! هيهات! علم مخزون!.

ويلتفت عليالى الذين تحلقوا حوله..و قد أوشك على الرحيل فيقول:

أنا بالأمس صاحبكم، و أنا اليوم عبرة لكم؛ و غدا مفارقكم..

لقد انتهى كل شىء و سوف يرحل آخر الأوصياء فى التاريخ، مازال يتكلم فتتدفق ينابيع الحكمة و يلخص وجوده قائلا:

و أنما كنت جارا جاوركم بدنى أياما..

و ستعقبون منى جثة خلاء..

ساكنة بعد حراك..

و صامتة بعد نطق...

ليعضكم هدوى و خفوت اطراقى..و سكون اطرافى..

[صفحه ۱۶۳]

و ستكشفت الانسانية عليا بعد رحيله...و هو يعرف ذلك فيهتف عاليا:

غدا ترون أيامى و يكشف لكم عن سرائرى..و تعرفوننى بعد خلو مكانى..و قيام غيرى مقامى..

حديث مع الأجيال

رياح شباط تهب مجنونة..تنخر فى العظام تبشر بالويل و الثبور..الامام يتأهب للرحيل..لقد مضى عهده السلام..

اجرى الطبيب فحوصاته..لقد استشرى السم...و أميرالمؤمنين مهدد بالموت بين لحظة و أخرى..الروح العظيم يتوهج..فيذوب الجسد الآدمى..و الجبين الذى لامس الشمس ينضح عرقا..الشمس تهوى فى هوة الأفول...رمق على ولديه...سبطى محمد و ريحانتيه من الدنيا..

على يتحدث يوصى الأجيال و قد توقف التاريخ يصغى لميراث آخر الأوصياء:

اوصيكما بتقوى الله! و الا تبغيا الدنيا و أن بغتكما...

و لاتحزنا على شىء منه زوى عنكما...و قولا بالحق..و اعملا للأجر..

و كونها للظالم خصما و للمظلوم عونا..

و هنا يهمس فى أذن الأجيال القادمة فيقول:

أوصيكما و جميع ولدى و أهلى...

[صفحه ۱۶۴]

و من بلغه كتابى....

بتقوى الله..و نظم امركم..و صلاح ذات بينكم...فانى سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول: «صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة الصيام»، ثم يتدفق النبع الانسانى الذى يبنى العالم الأخضر:

«و الله..الله فى الايتام فلا تغبوا افواههم..و لايضيعوا بحضرتكم..و الله الله فى جيرانكم..فانهم وصية نبيكم مازال يوصى بهم حتى ظننا انه سيورثهم..

والله الله فى القرآن لايسبقكم بالعمل به غيركم...

والله الله فى الصلاة فاننا عمود دينكم..

والله الله فى بيت ربكم لاتخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا..

والله و الله فى الجهاد باموالكم و انفسكم و السنتكم فى سبيل الله...

و عليكم بالتواصل و التباذل: و اياكم و التدابر و التقاطع...لاتتركوا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيولى عليكم شراركم..ثم تدعون فلا يستجاب لكم..

و هنا يوجه الامام خطابه الى بنى عبدالمطلب حتى لايصنعوا من ثيابه الملونه بدم الشهادة قميصا آخر فيقول:

«يا بنى عبدالمطلب لاالفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون: «قتل اميرالمؤمنين...ألا لاتقتلن بى الا قاتلى..».

[صفحه ۱۶۵]

و هو يرد أن يغلق الى الأبد ملف الحادثة:

انظروا اذا أنامت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة..و لاتمثلوا بالرجل..فانى سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول، «اياكم و المثلة و لو بالكلب العقور».

و سكت على..ليتحدث فيما بعد بلغة الصمت..ليبقى قبره المجهول عشرات السنين [۱۵۵] يرسم علامة استفهام كبرى على العهود المظلمة التى تلك اغتيال الشمس.

نبوءات الزمن القادم

و على يستشرف صفحات الغد القادم..و يرى الافاق البعيدة: ويلات الحروب..و امواج الفتن..و عواصف الزمهرير:

– سيأتى عليكم من بعدى زمان ليبس فيه شىء اخفى من الحق...و لااظهر من الباطل..و لااكثر من الكذب على الله و رسوله.

و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته..و لاانفق منه اذا حرف عن مواضعه..و لا فى البلاد شىء انكر من المعروف، و لا أعرف من المنكر..

فالكتاب و أهله فى ذلك الزمان فى الناس و ليسا فيهم..

و معهم و ليسا معهم..

[صفحه ۱۶۶]

لاـن الضـلالة لاـتوافق الهـدى و ان اجتمعـا...فـاجتمع القوم على الفرقـة و افترقوا على الجماعـة..كـأنهم أئمـة الكتـاب، و ليس الكتاب امامهم...فلم يبق عندهم منه الا اسمه.

– و يبشر الامام بعواصف الزمهرير التى ستهب من الشام بعد حين فتقول:

«امـا انه سـيظهر عليكم بعـدى رجـل رحب البلعوم..منـدحق البطن...يأكل ما يجـد و يطلب ما لايجـد...فاقتلوه، و لعن تقتلوه!...ألا و انه سيأمركم بسبى و البراءة منى، فاما السب فسبونى فانه الى زكاة، و لكم نجاة، و أما البراءة فلا تتبرأوا منى، فانى ولـدت على الفطرة، و سبقت الى الايمان و الهجرة.

– وسوف يبدأ زمن السقوط و الانحطاط عندما ينقض اعداء الاسلام القدامى على دين الله الحق....و تبدأ الحقبة الأموية المظلمة:

«والله لايزالون حتى لايدعو لله محرما الا استحلوه، و لاعقدا الا حلوه» و ستعم المأساة المدن و البوادى:

«حتى لايبقى بيت مدر و لا وبر الا دخله ظلمهم».

و سيبدأ زمن البكاء:

«و حتى يقوم الباكيان يبكيان: بالك يبكى لدينه، و باك يبكى لدنياه».

و سيبدأ زمن الويلات، عندما تشتعل الحروب المدمرة، و ها

[صفحه ۱۶۷]

هى البصرة [۱۵۶] تحترق فى أتون المعارك: و ستملىء الأهوار بالجماجم:

يا احنف كأنى به و قـد سار بالجيش الذى لايكون له غبار و لالجب و لاقعقعة لجم، و لاحمحمة خيل يثيرون الأرض بأقدامهم، كأنهم اقدام النعام..

و سوف تتهدم البيوت و تخر سقوف المنازل:

ويل لسككم العامرة و الدور المزخرفة...التى لها اجنحة كأجنحة النسور و خراطيم كخراطيم الفيلة..من أولئك الذين لايندب قتيلهم، و لايفقد غائبهم..انا كاب الدنيا لوجهها، و قادرها و بقدرها، و ناظرها بعينها..

و ها هى الاقوام فى آسيا الصغرى تترك مراعيها لتجتاج بلاد الاسلام:

كـأنى أراهم قوما كأن وجوههم المجان المطرقـة..يلبسون الرق و الـديباج و يعتقبون الخيل العتاق، و يكون هناك اسـتحرار قتل..حتى يمشى المجروح على المقتول، و يكون المفلت أقل من المأسور!

[صفحه ۱۶۸]

و يشعر شهود ذلك العصر بالرهبة، و قد انكشفت أمامهم صفحات من الغد القادم..فيقول احدهم و كان كلبيا:

لقد اعطيت يا أميرالؤمنين علم الغيب!

و يبتسم على قائلا: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، و انما هو تعلم من ذى علم، و انما علم الغيب علم الساعـة، و ما عـدد الله سـبحانه بقوله: (ان الله عنـده لم الساعـة و ينزل الغيث و يعلم مـا فى الأرحـام و مـا تـدرى نفس مـاذا تكسب غـدا و مـا تـدرى نفس بأى أرض تموت...) فيعلم الله سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو انثى، و قبيح أو جميل، و سخى أو بخيل، و شقى أو سعيد، و من يكون فى النار

حطباً أو فى الجنان للنبيين مرافقا...فهذا علم الغيب الذى لايعلمه احد الا الله..و ما سوى ذلك فعلم علمه الله نيه فعلمنيه؛ و دعا لى بأن يعيه صدرى و تضطم عليه جوانحى.

ليلة القدر

و فى ليلة الحادى و العشرين من شهر رمضان المبارك رحل على..و فى قلب الليل خرج رجال يعدون بالاصابع يحملون الجثمان العظيم ليطووا مسافة خمسة أميال خارج الكوفة...و هناك فى بقعة طاهرة جرت مراسم دفن [۱۵۷] آخر الاوصياء فى التاريخ...لقد قاب على

[صفحه ۱۶۹]

عن دنيا الوقائع ليسطع اسمه فى ضمير الأجيال..و يبقى خالدا فى وجدان الانسانية على مر العصور و الأيام..
و فى تلك الليلة عرجت روح ذلك العظيم تتخطى السموات فى الليلة التى توفى فيها موسى بن عمران و رفع فيها عيسى ابن مريم [۱۵۸].
و هكذا انطفأت الشمس التى اضاءت العالم حينا من الدهر و غمرته بالنور و الدفء ليبدأ زمن الزمهرير..و تضج الأرض بعواء الذئاب. [۱۵۹].

هبوب العاصفة

الكوفة بكل المقاييس ترتدى اليوم (۲۱ رمضان ۴۰ ه) حلة الحداد العام لقد رحل انسان عظيم ترك وراءه فراغا هائلا لمن يملأه أحد من العالمين.فى المسجد الجامع فى هذه المدينة العجيبة يرتقى أعود المنبر شاب فى السابعة و الثلاثين من عمره..شاب

[صفحه ۱۷۰]

يشبه النبى و ما تبقى من صحابة النبى صلى الله عليه وآله يتذكرون فى رؤيته الرسول صلى الله عليه وآله الذى رحل عنه قبل ثلاثين سنة و ربما تتداعى فى أذهانهم صور طفولة الحسن يوم كان جده يحمله أو يقبله أو يشمه و يقول: ان ابنى هذا سيد و لعل الله اين يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين [۱۶۰] فهم يحبونه لأنه سمعوا حبيبهم رسول‌الله يقول: اللهم انى أحبه فاحبه.
هذا الرجل السيد هو الآن فوق اعواد منبر والده الراحل يواجه عاصفة التاريخ و زوابع المحن و بواجه وحيدا كل عوامل الانحطاط فى حضارة الاسلام؛ فالعراق بكل ثقلة الثقافى و السياسى و العسكرى اثبت بما لايقبل الشك جنوحه الى النوم فى صفين، بل أن المجتمع الاسلامى كله قد طرأت عليه تغيرات نفسية شديدة، تشده الآن الى الأرض و قد كان ينظر الى السماء.
هذا الرجل المهيب يستعد لأول خطاب يفتتح به خلافته و الجماهير محدقة به تنظر اليه و تملأ عيونها منه...وجهه أبيض و قد لوحه الشمس ناكسة حمرة خفيفة ادعج العينين سهل الخدين كث اللحية جعد الشعر ذو وفرة كأن عنقه ابريق فضة بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس طويلا و لاقصيرا مليح الوجه و قد أحاطته هالة من الهيبة و الوقار جديرةبأبناء الانبياء.

[صفحه ۱۷۱]

كان ينظر الى الافق المشحون بالعاصفة..عاصفة الشيطان انه هناك فى نقطة ما يتربص فى أعماق البشر، لقد أنطفأ السراج الذى كان يشير الى طريق الحق...لقد رحل على عن العالم من أجل هذا كان الحسن يختنق بكلمته و هو يؤبن الراحل العظيم:

-..لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الألون بعمل، و لم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول‌الله فيقيه بنفسه، و كان رسول‌الله يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، لايرجع حتى يفتح الله، و لقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها عيسى بن مريم و قبض فيها يوشع بن نون وصى موسى و ما خلف صفراء و لابيضاء الا سبعين درهم فضلت من عطائه، أراد أن يتباع بها خادما لأهله.

و شعر سبط الرسول بالعبرة تخنقه و لم يعد يستطع الكلام فاجهش بالبكاء و انفجر الحاضرون يبكون العزة و الكرامة و الانسانية و شهدت تلك اللحظات جداول من الدموع...دموع المؤمنين الذين ادركوا حجم الخسارة، و استأنف سبط النبى خطابه فأعلن للعالم عزمه و ارادته و ابعاد شخصيته و رسالته!

-..أيهاالناس! من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن الوصى، و أنا ابن البشير النذير، و أنا ابن الداعى الى الله باذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من اهل البيت الذى كان جبريل ينزل الينا، و يصعد من عندنا، و أنا من

[صفحه ۱۷۲]

أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجل و طهرهم تطهيرا، و أنا من أهل بيت افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك و تعالى لنبيه: (قل لاأسألكم عليه أجرا الاالمودة فى القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت و كان هذا الخطاب دعوة رائعة لبيعته من أجل مواصلة الطريق..طريق المقاومة و تحقيق العدالة الانسانية.و نهض الصحابى قيس بن سعد فكان أول انسان يبايعه فانبرى الى الحسن قائلا:

-«ابسط يدك ابايعك على كتاب الله و سنة نبيه و قتال المحلين».

فرد الامام بأدب الانبياء:

- على كتاب الله و سنة نبيه فأنهما يأتيان على كل شرط.

و أدرك قيس أحقيقة ابن النبى و أن كتاب الله و سنة رسوله الكريم هما السراج الذى يضىء الطريق لمن يبحث عن الحقيقة.

و ربما خطر فى تلك اللحظة على ذهن الحسن أن مأسأة صفين و كارثة التحكيم لم تك لتحصل لولا روح التمرد التى نفذت فى أعماق شعبه و عدم احترامهم لقائدهم، لهذا أراد أن يرسخ روح الطاعة فى نفوس شعبه فكان يواجه حشود المبايعين بقوله:

- و تبايون على السمع و الطاعة، تحاربون من حاربت و تسالمون من سالمت.

و من المؤسف أن قطاعات واسعة ممن صنعت مأساة

[صفحه ۱۷۳]

التحكيم و بعدها حادثة النهروان ما تزال اسيرة النظرة السطحية للأمور فكانت تتعجل الحرب مع معاوية للانتقام.

و كانت خيبة الأمل أنهم رأوا انسانا لايريد أن يصغى لعنادهم و لايثق بعقولهم و لاينقاد لارادتهم.

و عندما رأى الخوارج ان الحسين هو الآخر لايتسجيب لمطالبهم عادوا الى الحسن فبايعوه على مضض، و هكذا حصل أول تصدع فى

الثقة بين القائد و جنوده.

وانها لمحنة حقيقية أن يجد الحسن نفسه مسؤولا عن قيادة حركة المقاومة و صيانة المجتمع الاسلامى و حماية كرامة الانسان و الدفاع عن القرآن، ثم يلتفت ليرى أن جنوده ليسوا سوى خوارج يحقدون عليه و على أبيه و سوى الأشراف من أصحاب الثراء و هؤلاء بدأوا ينظرون الى مصالحهم فلا يجدونها تتحق الا بالتفاهم مع معاوية و بنى أمية، أما بسطاء الناس فهم لايعرفون سوى الطاعة لزعيم القبيلة.

ان انصار الحسن الحقيقين كانوا عدة قليلة لايمكنها أن تقف فى مواجهة العاصفة..و فى مثل هذه الظروف نهض ابن الانبياء يواجه الشيطان.

و كان أول شىء فعله الخليفة الجديد أعلانه موقفه و رسالته و كنا هدفه الاسمى و حدة الامة و صيانة دينها من جميع الاخطار، و كان الخطر الذى يهددها هو استمرار التمرد فى اقليم الشام.

[صفحه ۱۷۴]

وقد حاول الامام الحسن التعامل مع مشكلة الشام بروح جديدة فدعا الوالى المتمرد الى انهاء تمرده و ايقاف نزف الدم و الحفاظ على وحدة المجتمع الاسلامى.

أما فى جبهته التى لاـتبعث على التفاؤل فقد أمر عليه‌السلام بمضاعفه مرتبات القوة العسكرية التى سيناط بها مسؤولية الدفاع عن الشرعية.

مبادرة السلام

و بعث الخليفة الذى بايعة معظم اقاليم الدولة الاسلامية برسالة الى معاوية تضمنت دعوة الى الاسلام من خلال انهاء التمرد و الطاعة للشرعية كما فلسف فيها الامام مشروعية خلافته [۱۶۱] .

و كان معاوية قد تلقى انباء مبايعة الامام بالقلق و عصفت به الهواجس..هواجس المواجهة و تجسدت للحظة أمام عينه مشاهد من معارك صفين الضاريه و سرت الرعدة فى نفسه و هو يستعيد منظر العيون العراقية وراء المغافر و هى ترسل شرر المقاومة و الاستبسال [۱۶۲] .

و كان ابنه يزيد يلاعب قرده «أبى قبيس فقال له: مالك يا أبى

[صفحه ۱۷۵]

اراك يعصف بك القلق قال معاوية و قد اراد أن يجره الى عمل سياسى بعيدا عن قردته و كلابه و صقوره.

انه الحسن و الناس يعرفون حقه فهو ابن رسول‌الله.

قال يزيد و قد قاتلت من قبل أباه فنصرك الله عليه.

و ارتاح معاوية الى هذا الغباء لكنه أراد أن يطلع ابنه على الحقيقة فقال: يا بنى ان الحق حقهم [۱۶۳] و هو سيد المسلمين عليه‌السلام و مضى يزيد الذى تأفف من حديث والده مضى يلاعب قرده و ظل معاوية اقدا يديه وراء ظهره يفكر و يفكر فيما عسى أن يفعل انه لن يستطيع أن يستمر بذريعة الطلب بدم عثمان..لقد انتهى دور قميص عثمان و عليه أن يفكر بوسيلة أخرى.

غمغم معاوية فى نفسه و هو يذرع بلاط قصر الكبير ان عمرو بن العاص يعرف العراقيين لقد مزقهم بمكيدة و أحدث فى جبههة على

انشقاقا و فتقا لارتق له عشرون ألف أو یزیدون هددوا علیا بالقتل اذا لم یوقف الحرب، ثم جاءت النهروان لتزید الطین بلة..ان الکوفة لم تعد ما هی بالأمس انها ممزقة..

فلم لایرسل جواسیسه و عیونه تستطلع آخر الأخبار، سیما و أنه یستطیع مراسلة شخصیات عدیدة من زعماء الکوفة فیها عروض بالتحالف معه ضدالحسن ان شخصیات مثل: شبث بن

[صفحه ۱۷۶]

ربعی، شمر بن ذی‌الجوشن، عمر بن سعد، حجار بن ابجر، قیس بن الاشعث، عمرو بن حریث، عروة بن قیس و أسماء بن خارجة، یمن شراؤها بسهولة، کما أن الخوارج و ان کانوا یعادون معاویة فأنهم لن ینسوا ثأرهم فی النهروان و لن یکتفوا باغتیاله علیا و سیثبون بالحسن فی أول فرصة...انهم خطر یهدد الکوفة من داخل حصوها و مع کل ذلک فانه سیکون حذرا جدا فی صراعه مع العهد الجدید و لن یقوم بأیة خطوة حتی یحصل علی معلومات اکیدة و لذا قام بارسال جاسوسین أحدهما الی البصرة و الآخر الی الکوفة لانشاء شبکة تحیطه بما یجری فی العراق.

فی أواخر نیسان سنة ۶۶۱ م القی القبض جاسوسین خطیرین کانت مهمتهما نقل الأخبار و الاتصال ببعض الزعماء فی الکوفة و البصرة و تمت ادانتهما واعدما علی الفور.

و قد ارسل الامام الحسن رسالة الی معاولة بهذه المناسبة یحذره فیها من التآمر. [۱۶۴] .

کما تلقی معاویة رسالة مماثلة من حاکم البصرة عبدالله بن عباس [۱۶۵] کما و أرسل عبدالله بن عباس رسالة الی الامام الحسن یطلب فیما منه اجراء تغییرات أساسیة علی سیاسة والده و الافادة

[صفحه ۱۷۷]

الی حد ما من سیاسات معاویة من قبیل شراء بعض الضمائر علی أساس ان الغالیة اسامیة تبرر الوسیلة [۱۶۶] ! و تعد هذه الرسالة وثیقة تکشف عن المستوبات الخطیرة التی وصلت الأوضاع فی العراق و الانقلاب فی الکثیر من المعاییر الأخلاقیة و تراجع القیم الانسانیة.

و لم یورد التاریخ ان الامام الحسن ارسل رسالة جوابیة الی والیه علی البصرة غیر ان الایام کشفت عن شخصیة الحسن التی لاتعرف التساوم و السحق علی المبادی فکانت مواقفه سلسلة من الاباء و الشعور بالمسؤولیة و التضحیة التی وصلت ذورتها فی تجاوز اعتبارات الذات و المجد الشخصی.

عودة الی الوراء

و ینظر الامام الحسن الی الافق فیراه مکفهرا لایبشر بخیر فیلتفت الی الماضی لانه یدرک ان مجتمعه المعاصر یحصد ما قد زرعه بالأمس الجیل الذی یوشک علی الرحیل.

کان یدرک ان عاصفة الاطماع و التهافت علی الدنیا قد بدأ هبویها منذ أیام عمر بن الخطاب، فقد فتحت حرکة الفتوح الأبواب علی مصاریعها و تألفت کنوز الذهب و الفضة و الجواهر و المزارع

[صفحه ۱۷۸]

الخضراء الفسيحة..آه ما أحلى الرخاء فى هذه الدنيا العريضة [۱۶۷].

و بدأت مظاهر الترف تظهر على ملامح الناس الذين كانوا بالأمس يربطون حجر المجاعة على بطونهم، و كانت مآدب الطعام تحفل بكل مالذ و طاب. [۱۶۸].

و بدأ بعض الصحابة يثرون ثراء فاحشا و يطمعون للمزيد انه لاينسى الزبير الذى يمتلك الأراضى و المزارع الواسعة فى العراق و الحجاز و مصر و كان عنده من العبيد ألف عبد و أمة يعملون فى مزارعه الواسعة، أما أمواله فبلغت فى مجموعها ۰۰۰ / ۰۰۰ / ۳۵، أما طلحة فقد بلغ معدل أرباحه الصافية التى ترد من العراق ۱۰۰۰ درهم يوميا.

و رأى الحسن كيف نهض هذان الصحابيان ضد والده الذى كان يحيا حياة دون مستوى خط الفقر بكثير و كان همه نشر العدالة و اعادة الامة الى هويتها الحقيقية أو أعادة الهوية الاسلامية الى الأمة.

رأى عبدالرحمن بن عوف يدفع الخلافة الى عثمان على أمل أن يعيدها اليه ذات يوم..عبدالرحمن ذلك الصحابى ثم التاجر البسيط ثم الثرى الكبير! الذى يوجد فى اسطلبه مئة فرس و له

[صفحه ۱۷۹]

ألف بعير و عشرة آلاف شاة من الغنم [۱۶۹] ثم خلف بعد وفاته من الذهب ما كسر بالفؤوس حتى مجلت أيدى الرجال [۱۷۰] و ازدادت حدة التهافت على الدنيا بعد أن رأى الناس خليفتهم عثمان سباقا فى هذا المجال.

و اصبحت ثروة عثمان بين للة و ضحاها الملايين من الدنانير و الدراهم و كان عنده جيش من العبيد يبلغ الألف عبدو ترك وراءه من الأبل آلاف و قطعان من الغنم.

و انتقلت ثقافة حب الدنيا الى الولاة و الحكام على الاقاليم فكان معاوية أولهم و أكثرهم جشعا و طمعا و انفتحت شهيته على اقتطاع المزيد المزيد حتى بدأ يرنو الى الخلافة و امتلاك كل الأرض الاسلامية بلادا و عبادا!

و فى عهد عثمان انتشرت ظاهرة الترف التى عادة ما تقود الى ممارسات تتنافى مع الدين فبدأ بعض الناس يلعبون القمار و يحتسون كؤوس الخمر [۱۷۱].

و تفاقم نفوذ الأمويين و ظهر اعداء الاسلام القدامى فاصبحوا هم الحكام فى الاقاليم و الولايات، و قد مارس الولاة من بنى‌أمية

[صفحه ۱۸۰]

صنوف الظلم «الاضطهاد و التمييز العنصرى و القبلى» [۱۷۲].

و كانت لمعاوية حصة الأسد من الولايات فقد ضم اليه عثمان جميع الولايات السورية فاصبحت الشام كلها فى قبضته. [۱۷۳].

و كان مروان عدو النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمثابة الخليفة الفعلى الذى يمارس نفوذه المطلق فى مصير الامة و مقدرات البلاد الاسلامية و كانت نظرته الى أموال الأمة باعتبارها ملكا للخليفة الاموى عثمان و أن الخلافة ملك خالص للامويين لاينافسهم فيه أحد. [۱۷۴].

فكانت ايرادات سوق المدينة تذهب مباشرة الى جيب الحكم بن ابى‌العاص، و كانت الجوائز والهبات تنهال على أقارب عثمان كالمطر حتى اضطر خازن بيت المال الى تقديم استقالته بعد أن أعلن فى المسجد أه خازن للمسلمين وليس لعثمان و عشيرة عثمان

[۱۷۵] ، و فی عهد عثمان و خاصة فی السنوات الأخیرة ظهرت ملامح الحرمان علی کثیر من الأسر الفقیرة بعد التغیر الذی طرأ علی نظام جمع الزکاة. [۱۷۶] .

و قد أدت سیاسة عثمان الی تفاقم التململ لیس فی المدینة

[صفحه ۱۸۱]

وحدها بل و فی کثیر من الاقالیم الاسلامیة و فی طلیعتها مصر و الکوفة والبصرة.

و عندما تفاقم الوضع و اصبح الجو فی المدینة المنورة ینذر بالانفجار الوشیک استنجد عثمان بالامام علی الذی لم یتردد فی الوساطة بین الجماهیر الغاضبة.و اسفرت جهود الامام عن خروج عثمان علی الامة معتذرا تائبا و وقف أمام الناس هاتفا: «استغفر الله عما فعلت و أتوب الیه فمثلی نزع و تاب») [۱۷۷] .

غیر أن مروان الذی احتل مرکزا مرموقا فی الجهاز الحکومی قد احبط خطوة الخلیفة الذی خانته الشجاعة فی اتخاذ أی موقف حازم أزاء صهره المنحط، و ادرک الامام علی الا جدوی من وراء عثمان الذی اضحی العوبة فی ید مروان او «سیفه» علی حد تعبیر علی علیه‌السلام و هکذا بدأت الاحداث تتسارع بشکل مخیف نحو الانفجار الذی وصل ذروته فی اقتحام قصر عثمان و قتله.

و قد خلقت الثورة و ما نجم عنها أوضاعا فی غایة الحساسیة و الخطورة و أدت الی تفاقم حدة الصراع بین التیار الذی یدعو الی العدالة فی التوزیع و التصرف بالثروة و بین تیار حقق امتیازات واسعة خلال العهود السابقة و بالتحدید منذ تنفیذ الخلیفة الثانی سیاسته المالة التی تنهض علی التمییز.

[صفحه ۱۸۲]

و کانت معرکة الجمل بالرغم من کل الشعارات التی رفعها الناکثون و حملتهم الدعائیة کانت أول اصطدام عنیف بین التیارین: تیار الدعاة الی العدالة الاجتماعیة و من خلفهم رجال القبائل العراقیین (الکوفة) و بین الاثریاء الطموحین و الخائفین علی مصالحهم من رجل العهد الجدید الذی عرفت عنه عدالته و عدم تساهله.

و قد ذکرنا المبررات التی دفعت الاما علی علیه‌السلام الی اتخاذ الکوفة عاصمة جدیدة لمواجهة الخطر القادم الذی یتجلی فی وجود اقلیم واسع ثری خاضع لسیاسة هدفة و برنامج دقیق ألا و هو اقلیم الشام بقیادة معاویة ابی‌سفیان.

و مع أن أغلب المهاجرین و الانصار وقفوا الی جانب علی علیه‌السلام ألا أن قیام شریحه منهم بالاعتزال قد ترک آثار سیئة علی مدی السنوات القادمة و هؤلاء هم الذین وصفهم الامام علیه‌السلام بأنهم خذلوا الحق و لم ینصروا الباطل و خلال فترة و جیزة نسبیا تبلورت جبهتان قویتان عبرعنهما عقیل فی مجلس معاویة عندما ضحک و سئل عن السبب الذی أضحکه فقال: «اضحک انی کنت انظر اصحاب علی یوم أتیته، فلم أر معه الا ـ المهاجرین و الانصار و ابناءهم، و التفت الساعة فلم أر معه الا ـ المهاجرین و الانصار و ابناءهم، و التفت الساعة فلم أر الا ابناء الطلقاء و بقایا الأحزاب» [۱۷۸] .

[صفحه ۱۸۳]

و یجب الاعتراف أن الظروف العامة کانت تسیر لصالح معاویة فقد التحق بمعسکره کل من یرید الدنیا و کانت الدنیا تخطف البابهم،

فما أن يلوح معاويـة لأحـدهم حتى يأتيه و كان الرجل ذكيا فى اسـتخدام جميع الوسائل المتاحة و الوعود المعسولة، فيما كانت الروح الدينية تتراجع يوما بعد آخر أمام الأطماع و الطموحات.

و جاءت معركة صـفين لتضع العالم الاسـلامى أمام خطر التمزق و كان الامام على عليه‌السـلام حساسا ازاء أى حركة انفصالية، فعندما عرض عليه معاوية انهاء التمرد مقابل موافقة على على استقلاله باقليم الشام رفض الامام على مدركا خطر هذه النزعة الانفصالية سياسيا و اجتماعيا.

و قـد خدمت الظروف معاوية كما ذكرنا فقد كان سـكان الشام أكثر تماسـكا و تضامنا من سـكان العراق و هذا يعود الى تحضـر أهل الشام و اسـتقرارهم فى أرض خصـبة و سياسة معاوية فى استرضاء زعمائهم اضافة الدعاية القوية لاجهزة معاوية التى تطرح الأخير أمينا على الوحى و كاتب الرسول و خال المؤمنين، فيما كانت النزعات القبليـة فى العراق تهدد وحدتهم و قد ظهرت النعرة القبلية فى مسألة التحكيم لتزيـد من محنـة الامـام على الـذى وجـد نفسه مضـطرا للتنـازل لآرائهم التافهـة فى اختيار أبى موسـى الاشـعرى ممثلا عنه فى المفاوضات مع عمرو بن العاص و لك أن تكتشف

[صفحه ۱۸۴]

النتيجة فى جلوس ثعلب ماكر مع حمار و يكون مصير العالم الاسلامى متوقفا على نتيجة التفاوض!

ثم حصـل انهيـار آخر فى جبهـة العراق عنـدما ظهر تيـار الخوارج عنيفا مـدمرا يهـدد كل الثوابت و كانت النهروان جرحا آخر يضاف للنزف العام.

و رأى على عليه‌السـلام نفسه فى عام أربعين للهجرة وحيدا لكنه لم ييأس فقام بآخر خطوة عندما القى خطابا حماسيا دفع بأربعين ألف عراقى الى مبايعته على الموت غير أن القدر عاجله بقيام شقى معتوه باغتياله و هو يؤدى صلاة الفجر.

ان سـقوط على فى محرابه مضـرجا بـدمائه يـدل على بشاعة الظروف التى عاشـها ذلك القائد الذى رفع لواء العدالة و الانسانية عاليا و عاش حياة الزهد من أجل اعادة المجتمع الاسلامى الى مساره الصحيح و تصحيح حركة التاريخ.

و لهذا سنجد نجله الحسن ينظر بحذر الى مجتمعه الذى اغتال أباه، ذلك ان اغتيال على هو فى كل الحسابات عدوان صارخ على كل القيم الاخلاقية و الانسانية ناهيك عن القيم الاسلامية.

صفير العاصفة

تأكد معاوية بان جبهة العراق تعانى من التمزق الشديد و وصلت أخبار كثيرة فى هذا المضمار، حتى يكاد المرء يسمع دوى

[صفحه ۱۸۵]

الانهيارات، لهذا أرسل على وجه السرعة رسالة تتضمن انذارا نهائيا [۱۷۹] .

و مع تدهور الظروف فقد رد الامام بحز بما جعل معاوية يعيد ترتيب بعض الحسابات. [۱۸۰] .

فقـد أعلن معاويـة الحرب و حشد جيشا جرارا جاوز الستين ألف جندى مجهز بمختلف أنواع السـلاح اضافة الى انضـباطه التام، ثم قام بـاجراء ذكى و هو اعلانـه أيضـا رغبته فى السـلام و يبـدو أن معاويـة كان متيقنا من تمزق الجبهـة العراقيـة فتقـدم بقواته نحو الحـدود العراقية واثقا كل الثقة من كسب المعركة. [۱۸۱] .

و وصلت أنباء الزحف الى الكوفة فأمر الامام بحشد الجماهير فى المسجد لألقاء خطاب هام، و من على أعواد منبر على انطلقت صيحة الجهاد و المقاومة: «أما بعد..فان الله كتب الجهاد على خلقه و سماه كرها.

ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا ان الله مع الصابرين، فلستم ايهاالناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون، انه بلغنى ان معاوية بلغه انا كنا ازمعنا على المسير اليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله الى معسكركم فى النخيلة حتى ننظر

[صفحه ۱۸۶]

و تنظرون، و نرى و ترون» [۱۸۲] .

و النخيلة هو المكان الذى تتجمع فيه الحشود العسكرية و يقع على طريق الشام و لايبعد عن الكوفة كثيرا. [۱۸۳] .

و خيم صمت ثقيل على الجالسين ينظر بعضه مالى عيون بعض، و قد القى الخوف بظلاله على الوجوه و انعكس فى انطفاء العيون.

الشائعات قد فعلت فعلها فى النفوس و قد نجح معاوية فى الحاق هزيمة نفسية ساحقة قبل أن يقرر الزحف صوب العراق، ان طوابير من جيش معاوية موجودة فى داخل الكوفة فى تلك البيوت المذعورة أو البيوت التى تعصف بهاالاطماع؛ ان الكوفة مهددة من داخلها.

و عندما رأى عدى بن حاتم الطائى هذا المشهد القال انبرى أمام الجماهير و هتف بحماس و بسالة: «أنا عدى بن حاتم! سبحان الله! ما أقبح هذا المقام!! ألا تجيبون امامكم و ابن بنت نبيكم؟ أين خطباء المصر الذين السنتهم كالمخاريق فى الدعة، فاذا جد الجد راوغوا كالثعالب، أما تخافون مقت الله؟ ثم التفت الى القائد العالم يعلن امتثاله للأوامر، و أعلن

[صفحه ۱۸۷]

استجابته الفورية و امتطى حصانه متجها نحو النخيلة بعد أن أوصى غلامه أن يلحقه بما يحتاج و كان هذا الصحابى البطل أول من عسكر فى النخيلة [۱۸۴] .

و قد بعث هذا الموقف و موقف رجال آخرين الحماس فى نفوس الكثيرين كما أمر الامام بعض الخطباء الحماسيين بالقيام بحملة تعبوية لتعبئة الرأى العام من أجل مقاومة العدوان القادم.

أما هو عليه‌السلام فقد قرر التحرك نحو النخيلة بنفسه لنقل المعركة بعيدا عن الكوفة فى ظروف تتطلب التحام عسكرى سياسى لخوض حرب مصيرية.

و خلال عشرة أيام بلياليها لم يلتحق بالامام سوى أربعة ألاف فعاد الى الكوفة لتدارك الأوضاع ثم عاد سريعا الى النخيلة فغادرها الى دير عبدالرحمن و أنتظر بها ثلاثة أيام ريثما يلتحق به المتخلفون من الجنود.

وكانت الاحداث تتلاحق بسرعة و جيوش الشام تتقدم صوب الاراضى العراقية، وكاجراء فورى رأى سيدنا الحسن عليه‌السلام ارسال نخبة من قواته لوقف الزحف الشامى و حماية الاراضى الخصبة و الزراعية من السقوط فى قبضة معاوية.

و فى تلك الليلة الدامة اجتمع الامام الحسن بهيئة أركان

[صفحه ۱۸۸]

حربه و منهم عبیدالله بن العباس حاکم الیمن و قیس بن سعد وسعید بن قیس.

و بعد حدیث طویل قام الامام:

-«یا بن العم! انی باعث معک أثنی‌عشر ألفا من فرسان العرب و قرأ المصر، الرجل منهم یزید الکتیبة، فسر بهم و ألن لهم جانبک و ابسط لهم وجهک، و افرش لهم جناحک، و ادنهم من مجلسک، فافهم بقیة ثقات أمیرالمؤمنین، و سر بهم علی شط الفرات، ثم امض حتی تستقبل بهم معاویة، فان لقیته فاحتبسه حتی آتیک فانی علی أثرک و شیکا، و لیکن خبرک عندی کل یوم، و شاور هذین [۱۸۵] و اذا لقیت معاویة فلا تقاتله حتی یقاتلک، فان فعل فقاتله، و ان أصبت فقیس بن سعد علی الناس، فان اصیب فسعید بن قیس علی الناس» [۱۸۶].

و فی فجر الیوم التالی تحرکت طلائع جیش الامام بقیادة عبیدالله و التی بلغ قوامها اثنی‌عشر ألف مقاتل.

و لزمت القوات الزاحفة شطان الفرات و هی تواصل تقدمها فتوقفت فی «سینور» ثم فی «شاهی» ثم «الفلوجة» ان وصلت «مسکن» فاستقرت فی «القربة الجنوبیة» ازاء مسکن و هناک

[صفحه ۱۸۹]

اصبح الجیشان وجها لوجه.

و کانت اللیالی التی مرت علی جیش الطلیعة مترعة بالحذر و الترقب و هواجس الخوف فقد مرت أیام و أیام و لیس هناک من خبر ینبیء بوصول الامدادات العسکریة انهم یواجهون جیشا جرار بتمیع بالانضباط الکامل و انظر عبیدالله الی معسکره فرأی نماذج من الفوضی و التمزق بل رأی بعض الخوارج ممن لایری وقارا للخلیفة و لایری حرمة لاخوانه من الجنود...وانبعث سؤال رهیب فی أعماقه کیف یتنسی له أن یواجه معاویة بهذه الحفنة...

و ما زاد فی غیظ القائد العسکری قیام بعض الجنود بالتسلل لیلا نحو معسکر العدو.

اذن فهذه الاشباح التی تمرق بین الخیام فی قلب الظلام انها هی رسل معاویة تحمل معسول الوعود و تحمل جرار الذهب فالضمائر تجارة اذن...بیع و شراء.

آه ان معاویة یستخدم بریق اذهب لیعمی البصائر و الابصار!!

و فی المعسکر الآخر حیث تجثم قوات الشام کان الجنود یصغون بدهشة الی قهقهات معاویة تشق صمت اللیل الی ساعة متأخرة.قلیلون جدا یعرفون سر تلک الضحکات الرنانة..أکوام من الرسائل القادمة من الکوفة و من معسکر النخلیة...رسائل من شخصیات قبلیة معروفة کلها تساوم معاویة و تعلن استعدادها

[صفحه ۱۹۰]

الکامل فی اغتیال الحسن أو خطفه و تسلیمه أسیرا.رسائل من شبعث بن ربعی، شمر بن ذی‌الجوشن، حجار بن ابجر قیس بن الاشعث و آخرین و کان ما یثیر دهشته أن کثیرا من الرسائل قد وصل من اشخاص مغمورین لایعرفهم أحد..ان حمی هذه التجارة قد وصلت الی درجة رهیبة لاتصدق!

و بدأت شائعات لایعرف مصدرها أحد تأخذ طریقها الی خیام المعسکر العراقی تتحدث عن رسائل متبادلة بین معاویة و الحسن حول الصلح و السلام. [۱۸۷].

و كانت خيمة القيادة على رابية تتيح للقائد عبيدالله أن يشرف على قواته و أن يرى عن بعد معسكر العدو المتربص، و اختلى القائد الى نفسه بعد منتصف الليل و قد جثم صمت رهيب فوق المكان و حاول ان يخدع نفسه حول صحة الشائعات، و لكنه يعرف جيدا أن الحسن ليس من الرجال الذين يساومون، و لكن فشل التعبئة العسكرية فى الكوفة و تراجع حماس الجماهير و رغبتهم فى السلام بأى ثمن قد جعله يتميز غيظاً من القدر الذى ساقه ليكون على رأس جيش ممزق نفسيا.و هناك على مرمى البصر كانت مشاعل الفرق الشامية تومض من بعيد و لم يكن عبيدالله يدرى أن معاوية قد خلا الآخر فى

[صفحه ۱۹۱]

خيمته يخطط..كان معاوية يسيطر رسالة خطيرة و لم تمض سوى ساعات حتى كانت الرسالة تسقط فى حضن القائد الذى أمضى ليلته ساهرا.

و فض عبيدالله الرسالة التى لم يشك فى أنها من معاوية و راح يغمغم بكلماتها: «ان السن قد راسلنى فى الصلح، و هو مسلم الأمر الى فان دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعا، و الا دخلت و أنت تابع، و لك ان اجبتنى الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك فى هذا الوقت نصفها، واذا دخلت الكوفة النصف الآخر» [۱۸۸] .

صر القائد على أصنانه: اللعنة انه يعرف مآزق أعدائه و يعرف كيف يستغلها...و يعرف أيضا أن سفالة الانسان لا حضيض لها و أن أقوم الناس خلقا وانقاهم سلوكا قد تجره الاطماع و يذله الحرص فى واحدة من لحظات الضعف البشرى.

آه ان معاوية خبير فى النفس الانسانية يعرف الكثير الكثير مما يموج فى ذات البشر.

و اشتعلت فى اعماقه مشاهد كثيرة لكنها كانت جميعا تخبو أمام وهج الذهب الذى سيقدمه له معاوية...حتى مشهد ابنيه الصغيرين اللذين ذبحهما بسر بن ارطاة فى غارته على اليمن و حتى مشهد زوجته التى جنت بسبب تلك الجريمة فهامت على

[صفحه ۱۹۲]

نفسها فى الازقة و الشوارع تندب ولديها.

حتى مجده العسكرى و كرامته كقائد تضاءلا أمام اغراء معاوية.

تصاعدت حدة الوساوس فى صدره ليته قدم استقالته قبل وصول الرسالة انه يجد نفسه شباك معاوية لايستطيع الخلاص أن مئات الآلاف من الدراهم ليست بالأمر الذى يمكن تجاوزه بسهولة.

و تمر ساعات الليل و كات خيمة القائد الذى اختلى بنفسه تشهد صراعا فريدا.

و فى مطلع الفجر كان عبيدالله قد استحال الى كائن آخر لقد صرع فى داخله الانسان..استحال الى جثة تتحرك...انه يرنو ببصره الى معسكر العدو و يخطط لفكرة الهروب...ان من يتأمل عينيه فى تلك اللحظات لا بد و أن يرى فى عمقها بريق الخيانة و وهج الاطماع و الغدر و سيجد أيضا انطفاء الانسانية بكل معانيها النبيلة.

و ما أن حل المساء حتى سرت همسات لها مدلول واحد ان القائد يفكر باللجوء الى معاوية.

و كان عبيدالله قد أبلغ المقربين اليه ممن يشاركونه فى طريقة تفكيره و نظرته الى احياة قد ابلغهم بقراره الخطير.

وتحت جنح الظلام شهدت قرية «الجنوبية» اكبر خيانة فى

[صفحه ۱۹۳]

التاريخ العسكرى فقد تخلى عبيدالله لكل قيم الفروسية و الشهامة و الشرف الانسانى.

و قبل مطلع الفجر وصل عدد الفازين من المعسكر الى ثمانية آلاف جندى.

و هكذا فضل القائد الدخول فى معسكر معاوية ذليلا خانعا مجللا بالعار فاحتقرته الاجيال و التاريخ فلم يعد يذكر الا قى قائمة الخونة، فمات قبل أن يموت و قد كان فى موقع يؤهله للخلود و المجد.

و كانت الخطوة التى قام بها القائد المتخاذل الذى باع مجده العسكرى و كرامته بحفنة من الدراهم، بداية النهاية فى الجبهة العراقية بعد أن استيقظ الجنود الذين تناقص عددهم الى اربعة آلاف جندى فلم يجدوا قائدهم كما لم يجدوا الآلاف من اخوانهم و عندما اكتشفوا حقيقة ما جرى اسقط فى ايديهم و شعروا بمرارة الهزيمة قبل خوض المعركة.

و فى هذه الاجواء التى تنذر بالخطر و الانهيار بادر الصحابى البطل قيس بن سعد الى تحمل مسؤوليته التاريخية فى ظرف عاصف فالقى خطابا ملتهبا فى جنوده لايقاف حالة التصدع و الانهيار. [۱۸۹] .

و فى هذه الاجواء التى تنذر بالخطر و الانهيار بادر الصحابى البطل قيس بن سعد الى تحمل مسؤوليته التاريخية فى ظرف عاصف فالقى خطابا ملتهبا فى جنوده لايقاف حالة التصدع و الانهيار. [۱۹۰] .

[صفحه ۱۹۴]

رياح الهزيمة

كان الامام الحسن عليه‌السلام قد وصل المدائن عندما وصلته انباء الكارثة فى رسالة القائد قيس بن سعد و قد جاء فيها: «انهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها: «الجنوبية» بازاء «مسكن» و ان معاوية ارسل الى عبيدالله بن العباس يرغبه فى المصير اليه، و ضمن له ألف ألف درهم.يعجل لها منها النصف، و يعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة.فانسل عبيدالله فى الليل، الى معسكر معاوية فى خاصته، و اصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس بن سعد و نظر فى أمورهم» [۱۹۱] .

و هكذا وصلت هزات الزلزال الى المدائن، و بكى بعضهم لوقع هذه الخيانة العظمى فيما راح آخرون يتندرون بان عبيدالله عندما هرب الى معسكر حمل معه راية الجيش. [۱۹۲] .

و استمر معاوية يرسل سهام الاغراء فيصيب بها من يشاء و وصل به الأمر أن عرض بناته على بعض الشخصيات التى لاتصغى لوعود الذهب و الفضة أو وعود المناصب العسكرية، كما لم ينس أن يهدد بعضهم بالانتقام اذا لم يتحالف معه الآن قبل اقتحام الكوفة بجنود لا قبل لهم بها.

[صفحه ۱۹۵]

و قام معاوية بخطوة تنضح نذالة عندما زور رسالة باسم قيس بن سعد تفيد بانه على استعداد لمصالحة معاوية [۱۹۳] .

و لم يعد أحد يكذب الشائعات و الاخبار الكاذبة بعد ما تحقق الجميع من فعلة عبيدالله المشينة.

و قد فتكت تلك الأخبار و الشائعات و مزقت فى صفوف القوات المرابطة فى مسكن و المدائن و اصبحت الجبهة العراقية العوبة بيد

معاوية فتارة يبث خبرا فى المدائن حول مقتل قيس بن سعد ويحثهم على الاشتباك الفورى [۱۹۴] .

و أخرى ينشر خبرا كاذبا فى «مسكن» حول مصالحة الحسن لمعاوية. [۱۹۵] .

و لأول مرة شعرالامام الحسن بالخطر على الكوفة من عملية اجتياح يقوم بها معاوية فى هذه الظروف العاصفة، ان وحدة الامة الاسلامية فى خطر كبير اذا ما استمرت الأوضاع سائرة فى هذا الاتجاه، ذلك أن اصرار بضعة مئات على مواجهة معاوية حتى النفس الأخير يعنى تدفق عشرات الآلاف من جنود الشام الذين يضمرون احقادا دفينة منذ صفين ضد العراقيين و اذا ما قدر لهم اقتحام الكوفة فلن يتورعوا عن انتهاك الحرمات و قتل العشرات من

[صفحه ۱۹۶]

صحابة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ان معاوية قد أعمته شهوة الحكم والسلطان و الملك و لم يعد يرى شيئا فى طريقه..سوف يدوس على كل المقدسات فى سبيل تحقيق أهدافه و طموحاته و أطماعه.

و كان على الحسن أن يفكر فى عواقب الأمور...انه يرى فى الأفق نذرا لاتبشر الا بوقوع مجزرة كبرى يعقبها شرخ هائل فى نسيج الأمة و قد تسر الأحداث عن ردة عنيفة عن الاسلام الحنيف و عودة الناس الى عصور الجاهلية المظلمة.

فاذا كانت الكوفة ترغب فى السلام بأى ثمن بعد كل هذه الحروب الطاحنة كما ان الاخطار الاجنبية تهدد الدولة الاسلامية و العدو الكافر يتربص بالمسلمين الدوائر و ينتظر الفرصة السانحة فلماذا هذا التقاتل من أجل حكم دنيوى و سلطان زائل؟!

و اضاءت فى ذاكرة السبط كلمات جده الراحل يوم قال أمام الملأ من أصحابه: ان ابنى هذا سيد و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [۱۹۶] .

و فيما كانت الشائعات تمزق الجبهة العراقية فى مسكن و المدائن قام معاوية بخطوة ذكية عندما ارسل و فدا يتألف من الداهية المعروف المغيرة بن شعبة و عبدالله بن عامر و عبدالرحمن

[صفحه ۱۹۷]

بن الحكم، و كان عبدالله بن عامر قد قام بحركة يهدف من ورائها تحطيم معنويات العراقيين فقاد مجموعة من فرسانه و أطلق تحذيرا يستبطين التهديد و يظهر حرصه على السلام.

عندما صاح: يا أهل العراق! انى لم أر القتال، و انما أنا مقدمة معاوية و قد وافى الانبار فى جموع أهل الشام، فاقرؤا أبا محمد عنى السلام و قولوا له: «أنشدك الله فى نفسك و أنفس هذه الجماعة التى معك».

و ها هو الآن يأتى ضمن وفد للتفاوض، و يجتمع الرجال الثلاثة بالامام و لم يذكر التاريخ عما دار فى خيمة الخليفة الشرعى، و لكن أعضاء الوفد و هم يغادرون يقومون بحركة ذكية و هى بثهم بن صفوف الجيش العراقى كلمات اشد من وقع السهام المسمومة و الخناجر الغادرة قائلين: «ان الله قد حقن الدماء بابن بنت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد اجابنا الى الصلح».

و يبدو أن الأجواء كانت تشجع على تصديق أية شائعة خاصة حول فكرة الصلح و السلام ذلك ان قطاعات واسعة كانت ترغب فى السلام و لكل مبرراته فقطاع من الناس قد مل من الحروب و كوارثها الاجتماعية بعد نتج عنها حتى الآن الآف اليتامى و الأرامل و القتلى و المعوقين، لقد كانت الحرب بالأمس مصدر للغنائم و الرخاء الاقتصادى أما اليوم فقد أصبحت مصدرا للبؤس و الشقاء كما ان

جراح الحرب الأهلية أشد ألما من جراح الحروب

[صفحه ۱۹۸]

فى حركة الفتوح!

و تلقف العراقيون هـذه الشائعة كما لو أنها حقيقة واقعة و بدأ بعضـهم يتميز غيظا فيصـر على أسـنانه و هو يقول: «لقد كفر الحسن كما كفر أبوه».

و صاح أحدهم بوقاحة: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل».

و كانت عيون بعض الخوارج تبرق بالحقد و الكراهية و صمم بعضهم على أغتياله فى أول فرصة ممكنة.

و أراد الامام الحسن اختبار ولاء الجيش و تماسكه فأمر بحشد الجميع للصلاة، و وقف القائد خطيبا فانسابت كلماته معبرة:

– «الحمد لله كلما حمده حامد، و أشـهد أن لا اله الا الله، كلما شـهد له شاهد و أشـهد أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالحق و ائتمنه على وحيه.أما بعد فانى و الله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منه و أنا أنصح خلق الله لخلقه، و ما أصبحت متحملا على مسلم ضغينـة و لامريـدا له بسوء، و لاغائلـة و ان ما تكرهون فى الجماعـة خير لكم مما تحبون فى الفرقـة ألا و انى ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم فلاتخالفوا أمرى و لاتردوا على رأيى، غفر الله لى و لكم و ارشدنى و اياكم خلما فيه المحبة والرضا».

و تصاعدت كلمات مسمومة من جنبات المكان:

[صفحه ۱۹۹]

– ماذا يعنى بقوله؟

– انه يريد مصالحة معاوية و تسليم الخلافة اليه.

– لقد كفر اذن.

– انه يستحق الموت.

و عنـدما وقف الامام للصـلاة اذا بسـهم غادر ينطلق من مكان ما و لكن السـهم يسـقط لأن الامام الحسن قـد احتاط بارتداء درع تحت ثيابه..لقد كان الامام يدرى بان هناك من يخطط لاغتياله بعد ما وعد معاوية الكثيرين بجوائز مغرية..

و حاول أحاهم فيما بعد طعنه بخنجر أثناء الصلاة. [۱۹۷] .

و بعد أن تعددت محاولات الاغتيال استدعى الامام بعض الزعامات التى يعرف طريقة تفكيرها و قال لهم بعد ان اتضح لديه غباؤهم:

– «ويلكم، والله ان معاويـة لايفى لأحـد منكم بما ضـمنه فى قتلى و انى أظن ان وضـعت يـدى فى يـده فأسالمه لم يتركنى أدين بدين جدى، و انى اقدر أن أعبد الله عزوجل وحدى..

ثم اردف و كأنه يقرأ صفحات الغد القادم:

– «و لكن كأنى أنظر الى أبنائكم واقفين على أبواب ابنائهم يستسقونهم و يستطعمونهم بما جعل الله لهم فلايسقون و لا

[صفحه ۲۰۰]

يطعمون، فبعدا و سحقا لما كسبته أيديهم و سيلعم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

ان سرعة الانهيار و التمزق لم تبق لأحد أذنا صاغية و أصبح العراقيون أمة مبعثرة ممزقة تعصف بهم الريح من كل مكان».

و حز فى قلب الحسن أن يرى الباطل جبهة متماسكة قوية ثم يلتفت الى جبهته فيراها خاوية على عروشها، و لم تكن هذه المحنة وليدة اليوم انما تعود الى مهزلة التحكيم و ربما أبعد من ذلك بكثير الى تلك السقيفة التى أفرزت ثقافة جديدة فى الحكم غير ثقافة يوم الغدير الخالد.

و رأى الامام الحسن أن خيار الحرب فى هذه الفترة سيكون مغامرة عسكرية متهورة و ستفضى الى نتائج و خيمة لايعرف مداها التخريبى الا الله عزوجل.

و رأى الكوفة فى مهب اعصار فيه نار..اعصار مجنون مترع بأحقاد قديمة ربما تعود الى بدر و أحد و حنين، لقد ظهر أعداء الاسلام القدامى من الطلقاء و أبناء الطلقاء ليثأورا من رسالة الاسلامى التى قضت على امتيازاتهم.

و حاول الامام أن يبين لكل من يستاءل عن سياسته و فلسفة مواقفه ازاء الحرب و السلام فأمر مرة أخرى بالاجتماع للصلاة فوقف خطيبا فى الجموع قائلا:

...والله ما يثنينا عن أهل الشام شك و لاندم، و انما كنا نقاتل

[صفحه ۲۰۱]

أهل الشام بالسلامة و الصبر، فشيبت السلامة بالعداوة و الصبر بالجزع، و كنتم فى مسيركم الى صفين و دينكم أما دنياكم، و أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم، ألا و قد اصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه و قتيل بالنهروان تطلبون بثأره، و أما الباقى فخاذل».

ان أمر محنة تواجه القائد عندما يرى الطابور الخامس يتضخم حتى لم يعد بمقدور أحد أن يعرف حدوده انه موجود فى كل مكان من الكوفة بل و فى العراق بأسره..

لقد أطلعه الوفد على رسائل خطيرة من زعماء الكوفة و رؤساء بعض القبائل و كلها تعرض على معاوية «السمع و الطاعة و يتبرعون له بالمواعيد، و يتخذون عنه الايادى، و يستحثونه على المسير نحوهم، و يضمنون له تسليم الحسن عند دنوهم من عسكره أو الفتك به» [۱۹۸].

لقد تمعن فى خطوط الرسائل و تأكد من تواقيع اصحابها، ان الظروف لاتسمح له بفضح هذه المؤامرات الدنيئة ولذا أعرض عن كل ذلك ليخاطب شعبه بكل ما فيه من عناصر الانحطاط ويضعهم أمام الحقيقة وجها لوجه؛ ان العراق يقف أمام امتحان صعب كالذى وقفه بصفين قبل أعوام فقل لهم بكل أمانة و أخلاص:

[صفحه ۲۰۲]

-«ألا و ان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزو لانصفة فان أردتم الموت، رددناه عليه و حاكمناه بظبات السيوف، و ان اردتم الحياة قبلنا و أخذناه بالرضا».

و تمر اللحظات مصيرية وانعكست فى عيون الحاضرين الرغبة فى الحياة بأى ثمن و لذا ارتفعت الاصوات من كل مكان:

- «البقية..البقية» [۱۹۹].

و هكذا اتضح للكثيرين بالرغم من وجود بعض المتحمسين للحرب انه لايمكن مواجهة جيش الشام المنظم بقوات مهزومة نفسيا و انه

لاأمل بالنصر أبدا بل لاأمل بالدفاع عن الكوفة.

و أحدث الخوارج الفوضى فى المعسكر خاصة و أنهم يرون اسنباحة كل من يخالفهم فى أفكارهم و حصلت حوادث نهب بل وصلت الفوضى درجة مهدت للبع الهجوم على الامام؛ فاستدعى الامام قبيلة «همدان» و «ربيعة» و أحدق به رجال من القبلتين لحمايته من أية عملية اغتيال.

و رأى الامام أن يغادر المكان خاصة و أن هناك من يخطط لاغتياله أو خطفه و تسليمه الى معاويشة ليقتله أسيرا أو يطلق سراحه و فى كل هذا العار الذى ليس فوقه عار و الهزيمة المرة.

و فى منعطف تكثر فيه الاشجار انطلقت صيحة غادرة و اذا

[صفحه ۲۰۳]

أحد الخوارج يهاجم الامام لاغتياله [۲۰۰] .

و جرح الامام جرحا بليغا فنقل الامام الى المقصورة البيضاء للمعالجة.

هل أصاب الكوف مس من الجنون بالأمس اغتالوا أباه و اليوم ارادوا اغتياله ان المعايير قد تغيرت و لاشك، ان الكوفة تنسلخ عن هويتها انها تبيع دينها من أجل دنياها و هى لاتدرى انها تفعل ذلك من أجل دنيا الآخرين و سوف تكتشف هذه الحقيقة المرة بعد فوات الأوان.

و غمرت الحيرة الجموع فى المدائن، لايعرف فيها المرء عدوة من صديقه و سادت حالة اللاحرب و اللاسلام.

و دخل رجل جهنى على الامام و هو يعانى من آلام الطعنة الغادرة قال له:

– يابن رسول‌الله! ان الناس متحيرون.

فقال الامام بمرارة قائد يحارب بلاجنود:

– و الله أرى معاوية خيرا لى...هؤلاء يزعمون أنهم لى شيعة ابتغوا قتلى و انتهبوا ثقلى و أخذوا مالى، و الله لئن آخذ من معاوية عهدا أحقن به دمى و آمن به على أهلى و شيعتى خير لى من أن يقتلونى فيضيع أهل بيتى».

[صفحه ۲۰۴]

لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى اليه سلما..

و الله لئن اسالمه و أنا عزيز أحب من أن يقتلنى و أنا أسير أو يمن على فتكون سبه على بنى‌هاشم الى آخر الدهر..».

و ادرك الجهنى معاناة الامام الذى وجد نفسه وحيدا كربان فى سفينة سكر ملاحوها أو غرقوا فى سبات عميق فيما الامواج المجنونة تهاجمها بعنف.

الخيار رقم صفر

و ارسل الامام سفيرين لاستماع عروض معاوية فى السلام و يبدو ان سبط النبى صلى الله عليه وآله وسلم اختار رجلين أحدهما يمثله و عو عمرو بن سلمة الهمدانى فهذه القبيلة و قفت الى جانب الشرعية عن ولاء للمبادىء أما الآخر فكان يمثل بشكل عام الروح العامة للكوفة فى تلك الايام و هو محمد بن الاشعث الكندى؛ جنوح نحو الحياة المادية، و المنافع السطحية، و بعد مفاوضات قام بها وفود

متبادلة وقع الطرفان على وثيقة السلام التى تضمنت بنودا اساسية:

۱- يقوم الامام الحسن بن على بالتنازل عن الحكم الصالح معاوية بن أبى‌سفيان على أن يلزتم الأخير بالعمل بالقرآن الكريم و سنة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و سيرة الخلفاء الصالحين.

۲- ليس من حق معاومية أن يعهد بالخلافة الى أحد بعده بل يكون الأمر شورى بين المسلمين.

[صفحه ۲۰۵]

۳- الأمن و العفو العام و عدم ملاحقة الأفراد بسبب مواقف سابقة.

۴- يتعهد معاوية بعدم التآمر على الامام الحسن و أخيه الحسين و الا يخيف أحدا من أهل البيت عليهم السلام [۲۰۱] .

و بعد توقيع اتفاقية السلام بدأ الامام يستعد للعودة الى النخيلة و منها الى الكوفة، و كان معاوية الذى اصبح خليفة عاما بقوة الحديد و النار هو الآخر يستعد لدخول الكوفة دخول الفاتحين.

و تفجرت ازمة جديدة عندما وصلت الانباء المدمرة الى قيس بن سعد الذى ظل ساهرا حتى الصباح يفكر فيما عساه أن يفعل؟

أن من أصعب الأمور فى حياة الأحرار رؤيتهم انتصار الباطل و غلبته و تراجع الحق، و لهذا خطب فى جنوده فى ذلك الصباح الكئيب يحيطهم لما بالكارثة فهتف بحزن مرير:

- اختاروا احدى اثنتين: اما قتال بغير امام، و امام أن تبايعوا بيعة ضلال!

و فى فورة الحماس الذى غمر الجنود علت هتافات ملتهبة:

-«بل نقاتل».

و كان على معاوية أن يعالج الموقف المتفجر قبل أن يتحرك نحو النخيلة و من ثم الاستعداد لدخول الكوفة رسميا.

[صفحه ۲۰۶]

و لذا أرسل الى قيس على وجه السرعة رسالة تضمنت سؤالا وحيدا؟

«على طاعة من تقاتل؟ و قد بايعنى الذى أعطيته طاعتك»

و أرفق بالرسالة ورقة بيضاء لشروطه..

و واجه قيس لحظات مزلزلة أن روحه تأبى الاستسلام و لكن عقله الآن يضعه أمام حقيقة مرة أن مواجهة معاوية تعنى الانتحار و ادرك حينئذ مرارة الامام الحسن و هو يضطر الى الصلح.

و بعد معركة داخل الاعماق المضطرمة بالثورة انتصر العقل المضىء و امسك قيس بريشته ليسطر شرطا وحيدا: الأمن لجنوده.

و عندما طالبه معاوية بالبيعة رفض قيس قائلا: لقد عاهدت الله الا ألقى معاوية الا و بيننا الرمح و السيف.

و لم يتأخر معاوية فى التحرك صوب النخيلة، فتحرك و قد حفت به كتائب من جيشه تضم مسلمين و مسيحيين، و انسحبت القوات المرابطة فى المدائن و مسكن، و فى النخيلة حيث اللقاء التاريخى بين الامام الحسن و معاوية تقابلا وجها لوجه و انتهز معاوية الفرصة و طالب قيس باللقاء و البيعة و لكن قيس كرر رفضه معلنا: لا والله لاتلقانى الا و بينى و بينك السيف و الرمح، و ابتسم معاوية ابتسامة مكر و أمر باحضار سيف و رمح ثم وجه اليه من يدعوه و يخبره.

[صفحه ۲۰۷]

و اردک قیس ان معاویة لن یترکه حتی یبایع، فوافق علی الحضور.

و کانت لحظات عصیبة عندما کان قیس یتجه صوب خیمة معاویة الوضیع الذی اصبح بین لیلة وضحاها حاکما علی الامة الاسلامیة، و اصطف العراقیون ینظرون الی قائد الطلیعة مقهورا فسمعوه یردد کلمات الأسی و التأنیب: استبدلتم الذل من العز و الکفر من الایمان فاصبحتم بعد ولایة أمیرالمؤمنین و سید المسلمین کسره معاویة عندما هتف بصفاقة:

- أتبایع یا قیس؟

والتفت قیس صوب سیدة و قائده بالأمس و قال بصوت خافت یقطر حزنا.

- أفی حل أنا من بیعتک؟

فأجاب سبط آخر الانبیاء؟

- نعم.

و أطرق قیس بعد أن بسط کفه فوق فخذه فقفز معاویة من علی سریره یمسح بیده فیما اعتصم قیس بالصمت، وقد دهش الحرس الشامی لاباء و شجاعة أنصارالحسن.

الکوفة تنتظر و ان کان لکل اسبابه الخاصة به فهذه أمرأة

[صفحه ۲۰۸]

ترقب عودة زوجها و تلک أم تنتظر عودة ابنها و أطفال خرجوا الی أطراف المدینة یتطلعون الی عودة آبائهم، و قد خیم حزن غامض منذ أن وصلت انباء التوقیع علی السلام حتی أولئک الذین ناصروا معاویة فی فترة الصراع عجزوا عن أصفاء مسحة الفرح علی المدینة بالرغم من الضوضاء التی أحدثوها لاستقبال معاویة الظافر و المنتصر.

أجل الکوفة فی حالة من الحزن و قد یری المرء فیها ابتسامة الشامت فالخوارج و ان کانوا یمقتون معاویة لکنه لم یخفوا شماتتهم بأهل البیت بعد انتصار عدوهم اللدود، و لذا نری بعضهم یحاول اظهار نقمته علی الحسن و یحمله مسؤولیة ما حصل، و فی غمرة کل ذلک لایعدم أن یری تفاؤلا من الناس البسطاء بعودة السلام الی البلاد التی ارهقتها حروب أهلیة مدمرة، و السلام یتعبه رخاء و الرخاء هدف انسانی و حلم جمیل.

ولذا هبت الکوفة بأسره لتستمع الی خطاب معاویة التاریخی الذی سیلقیه من فوق منبر علی!

و دخلت کتائب الشام و رأی الاطفال لأول مرة الوجوه الشقر التی تختلف عن وجوه آبائهم السمراء.وافتتح معاویة عهد بأن جلس علی المنبر لیسجل أول مخالفة لسنة النبی صلی الله علیه وآله وسلم و ثقافة الاسلام التی تلزم الخطیب بالوقوف. [۲۰۲] .

[صفحه ۲۰۹]

و قد أهمل التاریخ فیما یبدو خطابه فسجل الفقرات الهامة فیه:

-أما بعد فانه لم تختلف أمة بعد نبیها الا غلب باطلها حقها، و انتبه معاویة الی فلتته فاردف علی الفور:

- «الا هذه الأمة، فان حقها غلب باطلها.

وكشر معاوية عن أنيابه ليظهر على حقيقته و هتف:

- يـا أهل الكوفـة أترونني قاتلتكم على الصـلاة و الزكاة و الحـج و قـد علمت أنكم تصـلون و تزكون و تحجون! لكنى قاتلتكم لاتأمر عليكم و قد آتانى الله ذلك و أنتم كارهون.

ألا و ان كل دم أصـيب فى هـذه الفتنـة مطلول، و كل شـرط شـرطته فتحت قدمى هاتين! و قد رآنى أهلا للخلافة و لم ير نفسه فسـلم الامر الى!! و لايصلح الناس الا ثلاث اخراج العطاء عند محله، و اقفال الجنود لوقتها و غزو العدو فى داره، فان لم تغزوهم غزوكم.

و لم يترك معاوية هذه الفرصة فنال من على و نجله الحسن. [۲۰۳] .

و تحلى الامام الحسن بالصبر و اعتصم بالصمت تاركا أهل الكوفة يكتشفون حقيقة الانسان الذى خدعوا به....أجل سوف

[صفحه ۲۱۰]

يكتشفون ذلك و لو بعد حين..

و كان عمرو بن العصا يراقب و فسر صمت الامام بانه ضعف بسبب ما يعانيه من مرارة الهزيمة فاقترح على معاوية أن يطلب من الحسن القاء خطابه بهذه المناسبة ليتخذ الصلح صفة رسمية لدى الأمة، و كان معاوية يتوجس خيفة من خطاب الامام البليغ و لكن عمرو اقنعه بان الهزيمة التى حلت به صوف تعقد لسانه و انه ليس لديه ما يقوله فى هكذا مناسبة!

و نهض الامـام باتجـاه منبره و منبر والـده بالأـمس فـاعتلى درجاته ليقف شامخا وسط الجوع و قـد شع وجهه بنور سـماوى و نطق فاذا كلماته ترن فى سمع التاريخ و ذاكرة الاجيال.

- «ايها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماكم بآخرنا، و ان لهذا الأمر مدة، و الدنيا دول.

قال الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (ان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون و ان أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى حين)

و انفجر البركان بركان الحقيقة فوق المنبر المقهور:

- و ان معاوية زعم لكم انى رأيته للخلافة أهلا و لم أر نفسى أهلا فكذب معاوية.

نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عزوجل و على لسان نبيه.

[صفحه ۲۱۱]

و لم نزل - أهل البيت - مظلومين منـذ قبض الله نبيه، فالله بيننا و بين من ظلمنا، و توثب على رقابنا، و حمل الناس علينا، و منعنا سـهمنا من الفيء، و منع أمنا ما جعل لها رسول‌الله، و أقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبى حين فارقهم رسول‌الله، لاعطتهم السماء قطرها و الأرض بركتها و لما طمعت فيها يا معاويـة.فلما خرجت من معدنها، و تنازعتها قريش بينها فطمع فى الطلقاء و أبناء الطلقاء، أنت و أصـحابك، و قد قال رسول‌الله: ما ولت أمة أمرها رجلا و فيهم من هو أعلم منه، الا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا الى ما تركوا.

فقد ترك بنو اسـرائيل هارون و هم يعلمون انه خليفة موسى فيهم، و اتبعوا السامرى، و تركت هذه الأمة أبى و بايعوا غيره و قد سمعوا رسول‌الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يقول له: انت منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة، و قد رأوا رسول‌الله نصب أبى يوم غديرخم، و أمرهم أن يبلغ أمره الشاهد الغائب.

و هرب رسول‌الله من قومه و هو يدعوهم الى الله، حتى دخل الغار، و لو وجد أعوانا لما هرب.

كف أبى يده حين ناشدهم و استغاث فلم يغث، فجعل الله هارون فى سعة حين استضعفوه و كادوا يقتلونه، و جعل الله النبى فى سعة حين دخل الغار و لم يجد أعوانا.

و كذلك أبى و أنا فى سعة من الله حين خذلتنا هذه الأمة،

[صفحه ۲۱۲]

و انما هى السنن و الامثال يتبع بعضها بعضا».

ما يزال الصمت مهيمنا..أى انسان هو الحسن أى قائد وحيد يعلن بصوت هار ادانة لعصره الذى خذله فى قضيته العادلة.

وقف التاريخ مشدوها يسجل كلماته الخالدة التى تعبر عن حقيقة مقهورة محاصرة:

- «فو الذى بعث محمدا بالحق، لاينتقص من حقنا - أهل البيت - أحد الا نقصه الله من عمله، و لاتكون علينا دولة الا و تكون لنا العاقبة و لتعلمن نبأه بعد حين».

البركان ما يزال يواصل ثورته و قد بدأت حممه تتساقط فوق معاوية الذى تضاءل حتى أصبح جرذا مذعورا انه الآن وجها لوجه أما نجل سيد البلاغة فى تاريخ العرب:

- ايها الذاكر عليا! أنا الحسن و أبى على، و أنت معاوية و أبوك صخر، و أمى فاطمة و أمك هند، و جدى رسول‌الله و جدك عتبة بن ربيعة، و جدتى خديجة و جدتك فتيلة؛ فلعن الله أخملنا ذكرا، و الأمنا حسبا و شرنا قديما و حديثا، و أقدمنا كفرا و نفاقا».

و حدث مالم يتوقعه أحد عندما علت هتافات مجلجلة:

- آمين..آمين..آمين.

و خيل لبعض الحاضرين انه سمع أصوات آمين ترددها الملائكة و الناس أجمعون بل و قوافل الاجيال عبر التاريخ...

[صفحه ۲۱۳]

أجل، آمين أيها القائد المقهور انم تنازلك عن حقك و من أجل الحفاظ على وحدة أمة جدك و من أجل حماية الناس الطيبين فى المدينة التى خذلت يعد ادانة صارخة لعصرك.أو ادانة لكل الذين خذلوك و الذين باعوك بثمن بخس دراهم معدودة....

أجل آمين يا سيدى يا سبط آخر الانبياء فى تاريخ الانسان سوف تعض الكوفة أصابع الندم حين اكتشفتك و حين اكتشفت حقيقة عدوك..و ستدفع ثمن ذلك ندما طويلا.و قفل الامام عائدا الى منزله يستعد للرحيل و العودة الى مدينة جده النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

و بدأت مشاعر الذل تخامر الكثيرين من سكان الكوفة عندما رأوا مدينتهم اشبه بالمدن المحتلة و هى التى كانت بطلة الفتوح أكثر من ثلاثين سنة ثم اصبحت عاصمة الاسلام خمس سنين و ما تزال خطب على تملأ فضاء الكوفة و قد يمتد صداها عبر الزمان الى ما شاء الله.

لماذا يا سبط النبى

تركت خطوة الامام الحسن مرارة فى قلوب المؤمنين صحابة و تابعين خاصة لدى الذين يعرفون حقيقة معاوية و يستشرفون سياسته المعادية لمبادىء الدين و الانسانية، و قد سجل التاريخ النزر القليل من حوار الامام مع اولئك الزعماء

[صفحه ۲۱۴]

الابطال الذين كانوا يرفضون الظلم و يأبون حياة الذل، و كان من الطبيعى أن تبقى حواراتهم جزء من الاسرار الخطيرة التى كانت تكلفهم ثمنا غاليا أقله حياته الشخصية، فكان حجر بن عدى مثالا فى وعى الكارثة التى حلت بالعالم الاسلامى، و لذا نراه يقول للامام بمرارة و لوعة: «أما و الله لوددت أنك متن فى ذلك اليوم و متنا معك و لم نر هذا اليوم».

فقال له السبط: ليس كل انسان يحب ما تحب، و لا نرأيه كرأيك و انى لم أفعل الا ابقاء عليكم و الله تعالى كل يوم هو فى شأن» [۲۰۴].

و يقول السبط فى جوابه لعدى بن حاتم الطائى:

- «يا عدى! انى رأيت هوى معظم الناس فى الصلح، و كرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب الى يوم ما فان الله كل يوم فى شأن».

و يقول لآخر: انى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت ان يكون للدين ناعى».

و يقول لأحد زعماء الشيعة فى الكوفة (بشير الهمدانى):

- «ما أردت بمصالحتى الا أن أدفع عنكم القتل» [۲۰۵].

[صفحه ۲۱۵]

و يبدو أن بعضهم و قد رأى الحسين حزينا يعتصره الألم لهذه النهاية الفجعية التى ألمت بالاسلام فرأى فيها اعتراضا على خطوة أخيه فى أمضاء السلام و ربما عرض بعضهم عليه فكرة قيادة الشيعة ضد معاوية و لكنه رفضها على الفوز لنفس المبررات التى دفعت أخاه و شقيقه الى السلام الذى يبدو للوهلة الأولى هزيمة و لكنه فى لغة الصراع مجرد انسحاب و تراجع أملته ظروف قاهرة.

و قبل الرحيل بأيام دخلت على الامام الحسن اثنان من رجالات على و من الذين وقفوا الى جانبه فى محنته فقال الامام بعد حديث:

- «الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعا على ان لايكون ما هو كائن ما استطاعوا».

أجل لقد كان ما حصل قدرا من أقدرا هذه الامة التى وقفت فى صفين مترددة فى الاختيار...الاختيار الحتم بين على و معاوية بين مبادىء الاسلام، و الانتهازية، و لكنها ارتكبت خطأ فادحا و مصيريا فى مأساة التحكيم.

و أعرب أحدهما و هو المسيب بن نجبة الفزارى عن عميق حبه لأهل البيت فقال الحسين:

- يا مسيب نحن نعلم أنك تحبنا.

و قال الحسن مبشرا اياه:

[صفحه ۲۱۶]

- سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أحب قوما كان معهم».

و طلب المسيب من الامام البقاء فى الكوفة فاعتذر له الامام قائلا:

- «ليس الى ذلك من سبيل» [۲۰۶].

وداعا أرض السواد

و فى صبيحة يوم كئيب انتظمت قافلة أهل البيت تودع الكوفة.

و خرجت شرائح واسعة من سكان المدينة التى خلعت زى العواصم تودع خليفة الأمس و الرجل الذى ضحى بمجده الذاتى من أجل السلام و الأمن.

فلقد كان بتمكانه و هو يملك خزائن الدولة أن يرشى هذا و يشترى ذاك و ينفق من أجل الحرب كما فعل خصمه [۲۰۷] و لكنه آثر السلام و أن يسلم الزعامة السياسية الى من تكالبوا عليها و نجحوا فى اغواء أمة بأسرها، فسلم الحكم ليبنى عرشه فى قلوب الأحرار و أصحاب المبادىء...عرفوا كل ذلك فى اللحظة التى جلس فيها معاوية على منبر على و قال: قاتلتكم لأتأمر عليكم و عرفوا ذلك

[صفحه ۲۱۷]

عندما سمعوه يعلن بوقاحة أنه سيضع كل شروط السلام تحت قدميه.وها هو الآن يغدر، فيطلب من أهل الكوفة الاستعداد لخوض الحروب مع الخوارج و شهدت الكوفة منذ ذلك التاريخ أول تمزق فى النسيج الأخلاقى بعد أن ظهر للعيان التمزق فى المشارب الفكرية بين صفوف القوات التى تحشدت فى مسكن و فى المدائن فبينا نجد مجاميع تشعق آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم و تدين بالولاء لهم نجد آخرين ينظرون اليهم كما لو كانوا كفرة مشركين، و قد شجع الانتهازيون و ذوو الطموح التيار الثانى من أجل تحقيق المزيد من أهوائهم و أطماعهم، و سوف نجد ان هذا النسيج يستمر فى التمزق الى أن ظهر بصورته البشعة فى عاشوراء سنة ۶۱ ه عندما نرى الانتهازين بالأمس و قد أصبحوا قادة عسكريين لتنفيذ مجزرة ما عرف التاريخ لها نظيرا.

و دفع سكان الكوفة بعد عشرين سنة ثمن أخطائهم الاستراتيجية التى ارتكبوا يحق أهل البيت عليهم السلام.

و ما لنا نستبق الأحداث قبل وقوعها و نحن الآن فى مطلع ربيع الثانى من سنة ۴۱ ه حيث يستعد الامام الحسن للعودة الى مدينة جده الراحل.

و وسط آهات الناس الطيبين و دموع المخلصين انسابت القافلة لتغادر عاصمة على، و فكر بعضهم بالهجرة الى المدينة المنورة ان الكوفة لم تعد وطنا لهم بعد أن غادرها القلب النابض

[صفحه ۲۱۸]

بالحب و السلام.

و مضت القافلة تطوى الفلاة الممتدة حتى اذا وصلت ديرا [۲۰۸] بد من بعيد التفت الامام صوب الكوفة و لم يذكر غدرها و تخاذلها انما ذكر اصدقاءه المخلصين من الذين وقفوا الى جانبه فى كل فصول الصراع فجاشت العاطفة الانسانية فى أعماقه و قال بأسى:

و لان عن قلى فارقت دار معاشرى

هم المانعون حوزتى و ذمارى

و داعا أرض السواد..و داعا اصدقاء المحنة و داعا يا عاصمة الثورة و التحدى.

يوما سيولد جيل جديد...جيل يكتشف الحقيقة، و سيبحث عن على من أجل العودة الى صفين و استئنائف الصراع من أجل تصحيح المسار.مسارالحضارة الاسلامية.

و أنت أيها السيد، ستبحث عنك المدن الخائفة..المدن الوحيدة كما تهددها طوفان الحرب و الدمار...و كلما لاحت فى الأفق حمامات الدم..و داعا أيها السيد يا صوت السلام الذى همدت له طبول الحرب..

ربما تهيمن اصوات المدافع حينا من الزمن و لكن البقاء لخرير الجداول...لذلك الصوت الهادىء الرقيق.

[صفحه ۲۱۹]

و داعا سوف تكتشف الاجيال و ستدرك مجدك...

يوما ما يعرف العالم حجم تضحيتك..ان ثروات الشرق الأوسط كلها لاتغتال توازنك...روح اسمى لأنها جذوة من روح محمد...محمد الذى تجلى من خلاله ناموس الوجود.

ان جيلك الذى اختار معاوية هو الذى يتحمل مسؤوليته أما التأريخ و الحضارة.دعهم أيها السيد يمدون أيديهم الى الشجرة المعلونة.

شجرة ظلالها ظلال و لمات و طلعها كأنه رؤوس الشياطين....

دعهم يجنون ثمارها المرة..

سوف تشهد الأجيال القادمة من رحم الأيامى على مجدك...

لأنه مجد الانسان الذى صاغه أبوك محمد...وداعا يا سيدى...

هذه باقة ورد أقدمها بين يديك...و سلام عليك فى العالمين.

[صفحه ۲۲۳]

ملحقات

النص الكامل لرسالة الامام الحسن الى معاوية

«من الحسن بن على أميرالمؤمنين، الى معاوية بن أبى‌سفيان، سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اليه الا هو.أما بعد فان الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين، و منة للؤمنين، و كافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين) [۲۰۹] فبلغ رسالات الله و قام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر و لا‌وان، و بعد أن أظهر الله به الحق و محق به الشرك، و خص به قريشا خاصة.فقال له: «و انه لذكرك لك و لقومك» فلما توفى تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته و أسرته و أولياؤه و لايحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد و حقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش و ان

[صفحه ۲۲۴]

الحجة فى ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم [۲۱۰] و سلمت اليهم ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به

العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها، انهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف و الاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد و أولياءه الى محاجتهم و طلب النصف [۲۱۱] منهم باعدونا، و استولوا بالاجتماع على ظلمنا و مراغمتنا [۲۱۲] و العنت منهم لنا، فالموعد الله و هو الولى النصير.

و لقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا و سلطان بيتنا، و ان كانوا ذوى فضيلة و سابقة فى الاسلام و أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب [۲۱۳] فى ذلك مغمزا يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله.لابفضل فى الدين معروف،

[صفحه ۲۲۵]

و لاـأثر فى الاسلام محمود، و أنت ابن حزب من الأـحزاب، و ابن أعدى قريش لرسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم و لكتابه، والله حسيبك، فسترد و تعلم لمن عقبى الدار، و بالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك، و ما الله بظلام للعبيد.

ان عليا لما مضى لسبيله – رحمة الله عليه يوم قبض، و يوم من اله عليه بالاسلام و يوم يبعث حيا – و لانى المسلمون بعده، فأسأل الله أن لايؤتينا فى الدنيا لازائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة، و انما حملنى على الكتاب اليك الاعذار فيما بينى و بين الله عزوجل فى أمرك و لك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم، و الصلاح للمسلمين فدع التمادى فى الباطل و ادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فانك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله و عند كل أواب [۲۱۴] حفيظ و من له قلب منيب، و اتق الله ودع البغى، و احقن دماء المسلمين، فو الله ما لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل فى السلم و الطاعة و لاتنازع الأمر أهله و من هو أحق به منك ليطفىء الله النائرة [۲۱۵] بذلك و يجمع الكلمة، و يصلح

[صفحه ۲۲۶]

ذات البين، و ان أنت أبيت الا التمادى فى غيك سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك حيت يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين» [۲۱۶] .

باقر شريف القرشى: حياة الامام الحسن: ۵۶ –۵۴.

[صفحه ۲۲۷]

مذكرة الامام الحسن

اشاره

اثر ارسال معاوية جواسيسه الى العراق

(أما بعد: فانك دسست الى الرجال، كأنك تحب اللقاء، لاشك فى ذلك فتوقعه ان شاء الله، و بلغنى أنك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى [۲۱۷] و انما مثلك فى ذلك كما قال الأول:

فانا و من قد مات منا لكالذى

يروح فيمسى فى المبيت ليغتدى

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى

تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

جواب معاوية

(أما بعد: فقد وصل كتابك و فهمت ما ذكرت فيه، و لقد علمت بما حدث، فلم أفرح، و لم أحزن، و لم

[صفحه ۲۲۸]

أشمت، و لم آس [۲۱۸] و ان عليا أباك لكما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة [۲۱۹] .

فأنت الجواد و أنت الذى

اذا ما القلوب ملأن الصدورا

جدير بطعنة يوم اللقا

يضرب منها النساء النحورا

[صفحه ۲۲۹]

و ما مزبد من خليج البحا

ريعلو الاكام و يعلو الجسورا [۲۲۰] .

بأجود منه بما عنده

فيعطى الالوف و يعطى البدورا [۲۲۱] .

باقر شريف القرشى: المصدر السابق: ۴۶ -۵۴.

[صفحه ۲۳۰]

النص الكامل لوثيقة السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

«هـذا ما صالـح عليه الحسن بن على بن أبىطالب، معاوية بن أبىسـفيان، صالحه لعى أن يسـلم اليه ولاية أمر المسـلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله، و سـنة رسوله، و سـيرة الخفاء الصالحين، و ليس لمعاويـة بن أبىسـفيان ان يعهـد الى أحـد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، و على ان الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله فى شامهم و عراقهم و حجازهم و يمنهم، و على ان اصحاب على و شيعته آمنون على انفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم، و على معاوية بن أبىسفيان بذلك عهد الله و ميثاقه، و ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، و بما أعطى الله من نفسه، و على أن لايبغى للحسن بن

[صفحه ۲۳۱]

على، و لالأخيه الحسـين، و لالأحد من أهل بيت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سرا و لاجهرا، و لايخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق، شهد عليه فلان ابن فلان بذلك، و كفى بالله شهيدا» [۲۲۲] .

باقر شريف القرشى: المصدر السابق: ۲۲۸ -۲۲۷.

[صفحه ۲۳۲]

رسالة عبدالله بن عباس للامام الحسن

و تتضمن اقتراحات خطيرة تكشف عن حجم التغيرات فى نفسية المجتمع الاسلامى آنذاك:

«أما بعد: فان المسـلمين و لوك أمرهم بعد على عليه‌السـلام فشـمر للحرب و جاهد عدوك و قارب أصحابك، و اشتر من الظنين دينه بما لايثلم لك دنياه [۲۲۳] و ول [۲۲۴] أهل البيوت و الشرف تستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعة فان بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق، و كانت عواقبه تؤدى [۲۲۵] .

الى ظهور العدل و عز الدين خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تداعوا الى ظهور الجور و ذل المؤمنين و عز الفاجرين.

و اقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لايصلح

[صفحه ۲۳۳]

الكذب الا فى حرب، أو اصلاح بين الناس فان الحرب خدعة [۲۲۶] و لك فى ذلك سعة اذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا.

و اعلم أن عليـا أباك انما رغب الناس عنه الى معاويـة أنه آسـى [۲۲۷] بينهم فى الفيء و سوى بينهم فى العطـاء، فثقـل عليهم، و اعلم أنك تحارب من حارب الله و رسوله فى ابتداء الاسـلام حتى ظهر أمر الله.فلما وحد الرب، و محق الشـرك و عز الدين أظهروا الايمان و قرؤا القرآن مسـتهزئين بآيـاته، و قـاموا الى الصـلاة و هم كسالى و أدوا الفرائض و هم لها كارهون، فلما رأوا أنه لايعز فى الـدين الا

الأتقياء الأبرار توسموا بسيمى الصالحين ليظن المسلمون بهم خيرا فما زالوا بذلك حتى شركوهم فى أماناتهم و قالوا حسابهم على الله فان كانوا صادقين فاخواننا فى الدين و ان كانوا كاذبين كانو بما ما اقترفوا هم الأخسرين، و قد منيت بأولئك و بأبنائهم و أشباههم، و الله ما زادهم طول العمر الا غيا، و لازادهم ذلك لأهل الدين الا مقتا فجاهدهم و لاترض دنية و لاتقبل خسفا [۲۲۸] فان عليا أباك لم

[صفحه ۲۳۴]

يجب الى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب و انهم يعلمون انه أولى بالأمر ان حكموا بالعدل فلما حكموا بالهدى رجع الى ما كان عليه حتى أتى عليه أجعله و لاتخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك و السلام [۲۲۹] .

باقر شريف القرشى: المصدر السابق: ۵۰ -۴۹.

پاورقی

[۱] ياقوت الحموى: معجم البلدان: ۴:۹۴۰ ط دار احياء التراث العربى لبنان ۱۳۹۹ ه.

[۲] تاريخ الطبرى حوادث سنة ۱۷ ه.

[۳] المصدر السابق.

[۴] المصدر نفسه.

[۵] تاريخ طبرى: ۴: ۴۶ - ۴۵ ط دار التراث لبنان.

[۶] البلاذرى فتوح البلدان ط القاهرة ۱۹۳۲ ص ۲۲۷.

[۷] فتوح البلدان: ۵۲۳.

[۸] تاريخ الطبرى حوادث سنة ۳۶ ه.

[۹] كانت البصرة و الكوفة تدعى العراقين.

[۱۰] حوار الامام على مع ابن عباس.

[۱۱] تاريخ اليعقوبى: ۲:۲۰۱.

[۱۲] حياة الامام الحسن: ۱:۶۲ ط دار البلاغة ۱۹۹۳ لبنان.

[۱۳] الشورى: الآية ۲۳: (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى).

[۱۴] الاحزاب: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا).

[۱۵] البقرة: الآية ۱۲۰.

[۱۶] نور الابصار: ۱۰۰.

[۱۷] صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق، صحيح الترمذى: ۲:۳۰۷.

[۱۸] البداية و النهاية: ۸:۳۵.

[۱۹] كنز العمال: ۷:۱۱۰.

[۲۰] سنن الدارمى: ۱:۴۰.

[۲۱] مسند أحمد: ۲:۴۸۹.

[۲۲] الامامة و السياسة: ۱۲.

[۲۳] شرح ابن أبی الحدید: ۱۹:۲ -۱۳۴:۱.

[۲۴] أبوالنصر استاذ الأدب العربی فی القاهرة: وسائل الشیعة و مستدرکاتها: ۳۱:۱.

[۲۵] توفیق أبوعلم - أهل البیت: ۱۶۶.

[۲۶] تاریخ ابن‌عساکر: ۳۲۱:۴.

[۲۷] فی ذی قار و هو یتأهب للزحف الی البصرة قال الامام لابن عباس ذلک!.

[۲۸] راجع تفسیر الطبری فی تفسیر الآیة الکریمة: أفمن کان مؤمنا کمن کان فاسقا.و الاستیعاب لابن عبدالبر: ۶۲:۲ فی تأویل قوله تعالی: (یا أیها الذی امنوا ان جاءکم فاسق بنبا فتبینوا ان تصیبوا قوما بجهالة فتصبحوا علی ما فعلتم نادمین).

[۲۹] طبقات ابن سعد ۲۱:۵.

[۳۰] الامامة و السیاسة: ۱: ۳۷-۳۵.

[۳۱] من یتأمل فی صیغة الکتاب یلمس بوضوح ما یموج فی نفسیة مروان من دمویة و وحشیة.

[۳۲] کان الوفد الذی قد وصل ایلة فی اقصی شمال الحجاز.

[۳۳] نیار بن عیاض.

[۳۴] تحرکت بالفعل جیوش شامیة بقیادة حبیب بن مسلمة الفهری و لکنها رابطت فی منطقة الجرف قریبا من المدینة، و لم تتقدم اکثر بأوامر شخصیة من معاویة، و عادت الی دمشق تحمل قمیص عثمان!!.

[۳۵] کان الامام علی علی تام باطماع طلحة السیاسة و قد کان الأخیر یهیأ نفسه لاستلام مقالید الخلافة.و قد بلغ من اندفاعه انه صنع لخزائن الدولة مفاتیح جدیدة؛ و ما یؤید هذه النظریة أن أم المؤمنین عائشة، کانت فی مکة عندما و صلتها انباء عن مصرع عثمان فقالت فرحة: بعدا لنعثل (عثمان) و سحقا ایه ذا الاصبع (طلحة) ایه أیا شبل! ایه ابن عم الله أبوک یا طلحة، فکأنی انظر الی اصبعه و هو یبایع.

[۳۶] هکذا سجل التاریخ تلک اللحظات.

[۳۷] کان طلحة بن عبیدالله أول من بایع و أول من نکث البیعة.

[۳۸] ستبقی بیعة الامام علی فریدة فی تاریخ الاسلام..فلم تکن فلتة کخلافة ابی‌بکر علی حد تعبیرعمر بن الخطاب نفسه، و لم تکن تعیینا فی حالة اغماء کخلافة عمر..و لم تکن هوی کخلافة عثمان کما عبر عنها عبدالرحمن بن عوف مهندسها الأول.

[۳۹] ان عبدالله بن عمر الذی رفض البیعة لعلی علیه‌السلام و هو أول من آمن بالرسالة نراه فیما بعد یبایع عبدالملک بن مروان فی مشهد مذل فقد جاء الی الحجاج بن یوسف الجلاد المعروف لیبایع؛ و قد احتقره الحجاج و خاطبه بالاذلال:

لم لم تبایع أباتراب؟ و جئت تبایع آخر الناس لعبد الملک؟! انت احقر من أن امد الیک یدی...دونک رجلی فبایع..و نری عبدالله بن عمری یهوی علی رجل الحجاج و یبایع علی السمع و الطاعة!!.

[۴۰] کانت الشعوب العربیة فی الشمال الافریقی فی عهد الادراسة و الفاطمیین تحتفل فی یوم ۱۸ ذی‌الحجة و تعده جزة من الأعیاد الاسلامیة الکبری فهو الیوم الذی کمل فیه الدین و تمت النعمة، ثم نسی شیئا فشیئا و ما یزال اتباع مذهب أهل البیت: یتخذون من یوم الغدیر عیدا فی کل من العراق و ایران و الهند و الباکستان و سوریا و لبنان.

[۴۱] کقوله علیه‌السلام: «اللهم انی استعدیک علی قریش و من اعانهم فانهم قطعوا رحمی و اکفؤوا انائی، و اجتمعوا علی منازعتی حقا کنت أولی به من غیر و قالوا:

- ألا ان فی الحق أن تأخذه و فی الحق أن تمنعه..فاصبر مغموما أو مت متاسفا.

فنظرت فاذا لیس لی رافد و لاذاب و لامساعد الا أهل بیتی فضننت بهم عن المنیة، فاغضیت علی القذی و جرعت ریقی علی الشجا و

صبرت من كظلم الغيظ على امر من العلقم، و آلم للقلب من و خز الشفار».و المقطع الأخير يكشف عن عمق الآلام التى تجرعها الامام فى تلك الحقبة من الزمن.

[۴۲] لقد عاش على انسانا و مات انسانا و لهذا خلدته الانسانية.

[۴۳] أن فى بقاء مروان بن الحكم حرا طليقا فى المدينة يكشف عن روح العهد الجديد فى تحمله «الآخر» حتى لو كان نقيضا.

[۴۴] ان المرة ليكاد يصعق و هو يشاهد الزبير بن العوام بماضيه المشرق مع مروان بن الحكم فى جهة واحدة.

[۴۵] كان الامام على عليه‌السلام يعمل فى حفر الآبار و العيون قبل الخلافة و استمر بعدها، و لم تغير الخلافة من حياته شيئا، و قد أوقفها جميعا على الحجاج و المؤمنين، و هذه قائمة باوقافه:

- عين البيحر - عين جبير - عين خفيف ليلى - عين خيف بسطاس - بئر الملك - عيون المدينة - عين ابى‌نيزر - وادى قرعة قريبا من فدك - عين نولا - البغيبغة - أرينة.

[۴۶] يكشف اسلوب الخطاب عن عدم اعترافهم بعلى كأمير للمؤمنين كما هو الحال فى خطاب الوليد بن عقبة.

[۴۷] خشى عمار من أن يلعب الأمويون بزعامة مروان بمشاعرها و جرهما الى تفجير الوضع مع الامام و هو ما حصل بعد ذلك.

[۴۸] يقول عليه‌السلام: «انهم ليطلبون حقا هم تركوه و دما هم سفكوه..فلئن كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه، و لئن كانوا ولوه دونى فما التبعه الا عندهم..و ان اعظم حجتهم لعلى انفسهم...يرتضعون اما قد فطمت.. يحيون بدعة قد اميتت..ياخيبة الداعى من دعا! و الام أجيب!!!.

[۴۹] اقترح عبدالله بن عباس على الامام أن يخرج معه أم‌سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله لتقوية موقفه و لكن الامام رفض ذلك قائلا:

- لا أرى اخراجها من بيتها كما رأى الرجلان اخراج عائشة.و كانت أم‌سلمة من أكثر أزواج النبى صلى الله عليه وآله اخلاصا للامام عليه‌السلام: و قد دختل فى جدل مع عائشة حول العواقب الوخيمة التى سترتب على تمردها و حمايتها للناكثين و اعلانها الحرب.

[۵۰] أبوموسى الأشعرى.

[۵۱] بالقرب من انقاض مدينة فارسية قديمة و تعرف اليوم بمحلة الزبير حيث يوجد قبر طلحة.

[۵۲] البيعة التى سبقت صلح الحديبية سنة ۶ ه.و تعرف بيعة الشجرة.

[۵۳] سأل رسول‌الله صلى الله عليه وآله الزبير ذات يوم فى احدى المناسبات: التحب عليا؟ فقال الزبير: و ما يمنعنى من حبه و هو ابن‌خالى!! فقال النبى صلى الله عليه وآله اما انك سنخرج عليه يوما و انت ظالم.

و كان الامام على يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه المشؤوم.

[۵۴] و فى هذا خاطب الامام أهل البصرة منتقدا اياهم: «كنتم جند المرأة و اتباع البهيمة رغا فاجبتهم و عقر فهربتم، اخلاقكم دقاق و عهدكم شقاق و دينكم نفاق و ماؤكم زعاق».

و قد وصل تقديس بعضهم للجمل أنه كان يشم بعره قائلا: لريح بعره جمل امنا عائشه اطيب من المسك!!.

[۵۵] بدأت المعركة فى منتصف النهار و انتهت قبيل الغروب.

[۵۶] محمد بن أبى‌بكر أمه اسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر الطيار بمؤتة تزوجها أبوبكر فانجبت له محمدا فتزوجها بعد وفاة أبى‌بكر و كان محمد بومها صغيرا فتربى فى احضان على عليه‌السلام و كان يقول فيه:

محمد ابنى ولكنه من صلب أبى‌بكر؛ استشهد فى مصر على أيدى عملاء معاوية و احرق جثمانه.

[۵۷] أغتاله مروان الذى يرى أن قاتل عثمان الحقيقى طلحة، و قد اطلق باتجاهه سهامه قائلا:

اينما اصابت فتح.

[۵۸] صفوان بالقرب من الحدود الکویتیة.

[۵۹] لاذ مروان بن الحکم بالحسن و الحسین و صفح عنه الامام؛ کما صفح عن عبدالله بن الزبیر بالرغم من شتائم لأخیر للامام قبیل المعرکة.

[۶۰] قال عبدالله بن عباس (رض): دخلت علی أمیرالمؤمنین علیه‌السلام ب (ذی‌قار) - المنطقة التی توقف فیها الامام منتظرا الامدادات الحربیة القادمة من الکوفة - و هو یخصف نعله فقال لی: ما قیمة هذا النعل، فقلت: لاقیمة لها فقال علیه‌السلام: و الله لهی احب لی من امرتکم، الا أن اقیم حقا، أو أدفع باطلا، ثم خرج الامام فخطب فی الحشود العسکریة.

[۶۱] تحول طلحة فی أواخر عمره الی شخصیة عنیفة ترفض الحوار؛ یدل علی ذلک طریقته فی حل الازمة مع عثمان، و حواره مع عمار عقیب تولی الامام مهام الخلافة و توجیه الامام لعبد الله بن عباس عندما بعثه الی زعماء الناکثین و فتح باب الحوار معهم یقول الامام: «لاتلقین طلحة، فانک ان تلقه تجده کالثور عاقصا قرنه؛ یرکب الصعب و یقول هو الذلول..و لکن الق الزبیر فانه الین عریکة فقل له..».

[۶۲] تصغیر عدو.

[۶۳] یجتاحه احساس بالالم و المرارة.

[۶۴] ۱۴ کانون الثانی ۶۵۷ م.

[۶۵] من یتأمل فی نهج‌البلاغة و هو یضم آثار الامام یلمس بوضوح نهج الامام فی محاولة اعادة الروح الی الضمیر المسلم من خلال تجسید سنة النبی صلی الله علیه وآله قولا و عملا.

[۶۶] کتاب الا علی: ۲۰۹.

[۶۷] اجتمع معاویة بأرکان اسرته لتدارس الوضع فاقترح عتبة أخوه علیه استدعاء ابن العاص قائلا: استعن علی امرک بعمرو بن العاص.و کان الأخیر مقیما فی مقاطعاته فی فلسطین.

[۶۸] کان الامام یدرک منذ الأیام الأولی للأزمة أن معاویة انما یطمح للخلافة.

[۶۹] الأخبار الطوال، ص ۱۵۷.

[۷۰] سرعان ما لبی بن العاص دعوة معاویة بل اصبحت الشام ملاذا لکل الطامعین فی دنیا معاویة و الهاربین من وجد العدالة من ارباب السوابق و المجرمین.

[۷۱] وقد صدق حدس الامام اذ عاد الی الکوفة و هو یهول من قدرة أهل الشام و ضخامة قواتهم، و ما لبث جریر أن فر من الکوفة تحت جنح الظلام.

[۷۲] محمد بن حذیفة عتبة بن ربیعة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابی جلیل القدر ولد فی ارض الحبشة فی عهد النبوة، استشهد أبوه فی معارک الیمامة للقضاء علی مسیلمة الکذاب.

کان من ابرز المعارضین لسیاسة عثمان، و هو صاحب القولة المشهورة یخاطب فیها جیوش الفتح الاسلامی قائلا: انا ترکما الغزو و وراءنا - أی الجهاد ضد عثمان - القی معاویة القبض علیه و سجنه و فر من السجن و لکنه لقی مصرعه علی أیدی جلاوزة معاویة فی مصر.

[۷۳] فکر قسطنطین الثالث باستعادة سوریا و فلسطین مستغلا نشوب الحرب الأهلیة و اندلاع الخلافات الداخلیة، و بدأت حشود الرومان العسکریة بالتحرک، و اندفع معاویة الی بعد الحدود فی الخنوع و الخیانة فلم یکتف باعادة الاسری الروم بل زاد علی ذلک تعهده فی دفع أتاوة سنویة للقسطنطینیة، کان من ضمنها تقدیم ثمنمئة من الخیول العربیة الاصیلة کل عام.

[۷۴] الأخبارالطوال: ص ۱۶۴.

[۷۵] قال عمرو: «لست أرى لك أن تدعو أهل الشام الى الخلافة فان فى ذلك خطر عظيم، حتى تتقدم قبل ذلك بالتوطين للأشراف منهم....بأن عليا قتل عثمان، فانها كلمة جامعة لك اهل الشام.»

و لم يتوان معاويد فى استثمار قميص عثمان لحظة واحدة؛ حتى يمكن لاقول أن معاوية لم يرتد قميص الخلافة الا بعد أن حصل على ذلك القميص الملطخ بالدماء...

و لايملك الباحث من الأدلة المقنعة ما يمنعه من الاعتقاد باشتراك معاوية - و لو من وراء ستار - فى التآمر على قتل عثمان الذى بلغ من العمر عتيا!.

[۷۶] توفى عمرو بن العاص سنة ۴۳ و لم يحكم مصر التى تهافت عليها سوى عامين و اشهر فخسر بذك دنياه أيضا و ذلك هو الخسران المبين.

[۷۷] فر عبيدالله بن عمر بن الخطاب قاتل الهرمزان الى معاوية و لقى حتفه فى صفين.

[۷۸] كلمة مأثورة للامام على عليه‌السلام.

[۷۹] الحوادث التى انتهت بمصرع عثمان، و حتى استشهاد الامام على عليه‌السلام.

[۸۰] لم يكن ما حدث فى صفين معركة عسكرية ضارية و أن بدت فى هذا الاطار، و لم يكن صرعا سياسيا عنفا و أن اتخذ هذا الشكل الرهيب من الصراع..

انه تحول حضارى فى مسار التاريخ الاسلامى أو تحول تاريخى فى منحنى الحضارة الاسلامية.

يقول المفكر الجزائرى الراحل مالك بن نبى: «ان معركة مصفين فى الواقع تمثل تذبذب المجتمع الاسلامى فى الاختيار..الاختيار الحتم بين على و معاوية...بين النظام الاسلامى الديمقراطى فى المدينة و بين الحكم المستبد الغاشم فى دمشق..

و لكن المجتمع الاسلامى و مع الأسف اختار الطريق الذى يؤدى به الى القابلية للاستعمار ثم الى الاستعمار / الفكرة الافروآسيوية: ص ۱۱۱.

[۸۱] نهج‌البلاغة: الخطبة ۳۲.

[۸۲] تبادل الطرفان العديد من الرسائل ورد بعضها فى كتب التاريخ، و ضم نهج‌البلاغة العديد من رسائل الامام عليه‌السلام و هى توضع بما لايقبل الشك مدى انحراف معاوية و عناده.

[۸۳] اشارة الى حديث النبى صلى الله عليه وآله: انا مدينة العلم و على بابها.

[۸۴] يقول الشريف الرضى: «و ابتداء هذا الكلام مروى عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله و قد قفاه أمير المؤمنين عليه‌السلام بابلغ الكلام و تتمه باحسن تمام من قوله: «و لايجمعهما غيرك...» / نهج‌البلاغة.

[۸۵] احد السبعين الذين بايعوا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله فى وادى العقبة قرب مكة.

[۸۶] مكان فى البادية على طريق الشام.

[۸۷] نهج‌البلاغة: الخطبة ۴۸- و قد عبر الامام عن نهر الفرات بالنطفة، و هذا ما جعل الشريف الرضى يعلق قائلا: بانها «من غريب العبارات و عجيبها».

[۸۸] مدينة قديمة فى وادى الرافدين ورد ذكرها فى القرآن الكريم.

[۸۹] يضم الوادى اطلال مدينة رومانية صغيرة بالقرب من ضفاف الفرات.

[۹۰] بلغ تعدادها عشرة آلاف جندى.

[۹۱] خرائب المدينة الرومانية.

[۹۲] قال الوليد: امنعهم كما منعوه عثمان..اقتلهم عطشا...قتلهم الله و قال عبدالله بن سرح: امنعهم الماء الى الليل..لعلهم ينصرفوا الى

طرف الغیظة، فیکون انصرافهم هزیمة.

[۹۳] التی الجیشان فی ربیع الثانی ۳۷ ه - تموز / آب ۶۵۷ م.

[۹۴] شواطیء الفرات.

[۹۵] تـذکر مصـادر التاریـخ أن جنود الطرفین کـانوا یختلطون فیما بینهم فی تلک المنطقـة دون مشاکل و ربما تبادل بعضـهم کلمات الود مع تمنیات فی عدم وقوع الحرب و عودة السلام.

[۹۶] قراء القرآن و کانوا طبقة محترمة آنذاک.

[۹۷] جیش معاویة.

[۹۸] کان وجود عمار بن یاسر فی جبهة الامام علی قد شکل احراجا شدیدا لمعاویة للحدیث النبوی المشهور: عمار تقتله الفئة الباغیة.

[۹۹] بلغ من العمر الرابعة و التسعین.

[۱۰۰] شخصیة دمویة و هو الذی اجتاح المدینة سنة ۶۳ ه.

[۱۰۱] جرت مبـارزة فردیـة اذ خرج فـارس مقنع من جیش الامام متحـدیا فخرج أبوه و هو لایعرفه و فی اثناء الصـراع عرف کل منهما الآخر و توقفا عن القتال.

[۱۰۲] کان مرکز القیادة فوق رابیة مشـرفة، و لم یشترک معاویة فی المعارک طیلة الحرب مسـتعیضا بمولاه الحریث و کان یرتدی بزة معاویة موهما من یراه بأنه معاویة؛ و قد لقی حریث هذا مصرعه علی ید الامام بعد أن اغراه عمرو بن العاص بمبارزته.

[۱۰۳] ظلت الحادثة موضع تندر لدی الفریقین أیاما.

[۱۰۴] قبائل ذات بأس.

[۱۰۵] طرح مقاتلوها حجرا و قالوا: لانولی الدبر أو یولی معنا هذا الحجرا!.

[۱۰۶] احدث استشهاده دویا فی المعسکرین، و کان عمار ظامئا فطلب ماء فجاءته امرأة بقدح من لبن، فشرب منه مستبشرا وهتف:

الیوم القی الأحبة..محمد و حزبه..

واردف:

اخبرنی رسول‌الله أن آخر رزقی من الدنیا صیخة لبن (مزیج من الحلیب والماء) و قد استشهد عمار و هو فی الرابعة و التسعین من عمره قضاه فی الجهاد المستمر؛ و قد سبب استشهاده احراجا شدیدا لمعاویة بعد أن وضح لکل ذی لب الباغی من الفریقین.

[۱۰۷] سهل بن حنیف الأنصاری.

[۱۰۸] نهج‌البلاغة: الخطبة ۱۰۷.

[۱۰۹] قبائل ربیعة.

[۱۱۰] کنز العمال ۱۰:۳۴۸.

[۱۱۱] تحول میران المعرکة لصالح أهل العراق بعد استشهاد عمار بن یاسر (رض).

[۱۱۲] بشر به رسول‌الله صلی الله علیه وآله قبل رؤیته بقوله: ان خیر التابعین رجل یقال له أویس، و تساءل السملمون عن هذ الرجل لم یر رسول‌الله بعـد فقـال صـلی الله علیه وآله: یأتی علیکم أویس بن عامر مع امـداد أهل الیمن من مراد ثم من قرن، و کان به برص فبرأ منه الاـ موضع الـدرهم، له والـدة هو بهـابر لو اقسم علی الله لأـبره..و التفت الی عمر ابن الخطاب فقال: «فان اسـتطعت ان یسـتغفر لک فافعل.

ظهر أویس فی زمن عمر و اختار الکوفة سـکنا و عاش زاهدا عابدا...حتی اذا بویع الامام بالخلافة اذا بهذا التابعی الجلیل ینتفض لیقف الی جانب علی..و کان الرجل رقم مئة من الذین بایعوا الامام علی الموت فی صفین:

و عند ما هتف الامام معلنا بدأ الهجوم:

يا خيل الله اركبى و ابشرى..

استل أويس سيفه و تقدم يقاتل الفئة الباغية فجاءه سهم غادر اصاب قلبه فهوى على الأرض شهيدا / الاصابة: ۱:۱۱۷.

[۱۱۳] صوت القوس و هو يشبه صوت الكلب دون نباح.

[۱۱۴] كان على لا يقتل أحدا الا كبر.

[۱۱۵] كان معاوية جاحظ العينين.

[۱۱۶] رفع ما يقارب من خمسمئة مصحف! و علت هتافات فى معسكر الشام تدعو الى السلام و وقف نزيف الدم!.

[۱۱۷] يصف الامام تلك اللحظات الرهيبة بقوله:

فتداكوا على تداك الابل الهيم، يوم وردها، و قد ارسلها راعيها و خلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلى، أو بعضهم قاتل بعض لدى / نهج‌البلاغة الخطبة رقم ۵۴.

[۱۱۸] و فى هذا يقول الامام: صاحبكم يطيع الله و انتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصى الله و هم يطيعونه!

و تبلغ مرارة الامام الذروة عندما يقول: «لو ددت و الله أن معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم و اعطانى رجلا منهم!».

[۱۱۹] صلح الحديبية بين النبى و قريش سنة ۶ ه.

[۱۲۰] بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله يوم الاثنين و صلى على يوم الثلاثاء.

[۱۲۱] «يقول عبدالله بن سلمة: رأيت عمارا يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا أخذ الحربة بيده و يده ترعد و يقول: و الذى نفسى بيده لقد قاتلت هذه الراية مع رسول‌الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات و هذه الرابعة / البداية و النهاية،: ۲۹۲.

[۱۲۲] كل فساد كان فى خلافة أميرالمؤمنين على و كل اضطراب حدث فأصله الأشعث / ابن ابى الحديد ۴۲۸: ۱.

[۱۲۳] قال الامام: انزلنى الدهر حتى قيل معاوية و على.

[۱۲۴] سنة ۳۸ ه.

[۱۲۵] بدأ تيارا الخوارج بالظهور بعد لعبة رفع المصاحف مباشرة، و منذ تلك اللحظة بدأ أول تصدع عقائدى خطير فى تاريخ الاسلام.

[۱۲۶] من المؤسف اننا لم نجد لدى الضمير العربى المعاصر اهتماما يذكر بكارثة صفين فهى تمر بشكل عادى الى حد ما فى مسار التاريخ؛ باستثناء ما يجده المرء لدى المفكر الراحل مالك بن نبى فى كتابه «شروط النهضة الجزائرية» عندما يجعل من سنة ۳۸ منعطفا حضاريا فى مسار التاريخ الاسلامى أو نقطة تحول كبرى فى طريق الحضارة الاسلامية.

[۱۲۷] خطب الامام مرة فاعترض الاشعث على بعض كلامه قائلا: يا أمير المؤمنين: هذه عليك لا لك.

فخفض الأمام عليه‌السلام اليه بصره و قال:

ما يدريك ما على مما لى، عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين! حائك ابن حائك!...منافق بن كافر!

و كشف الامام ماضيه التعيس:

و الله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام آخرى! فما فداك من واحدد منهما مالك و لاحسبك؛ و ان امرأ دل قومه السيف و ساق اليهم الحتف لحرى أن يمقته الأقرب، و لا يأمنه الابعد.

و قد اشار الامام الى حوادث اليمامة عندما غدر الاشعث بقومه، باتفاقه مع خالد ابن الوليد، اذ غرر بقبيلته حتى أوقع بهم خالد، فسماه قومه «عرف النار» و هو لقب الغادر عندهم.

[۱۲۸] عبدالله بن عمر بن الخطاب.

[۱۲۹] الأخبار الطوال / أبوحنیفة الدینوری: ص ۱۹۹.

[۱۳۰] تحدث ابن‌عباس مع الأشعری علی انفراد قائلا:

ویحک یا أباموسی، أحسب و الله عمرا قد خدعک، فان کنتما قد اتفقتما علی شیء فقدمه قبلک لیتکلم، ثم تکلم بعده فان عمرا رجل غدار، و لست آمن أن یکون قد اعطاک الرضی فیما بینک و بینه، فاذا قمت به فی الناس خالفک.

و لم یزد الأشعری أن قال:

قداتفقنا علی أمر لایکون لأحدنا علی صاحبه فیه خلاف ان شاء الله!.

[۱۳۱] صعد عمرو بن العاص المنبر کشر عن انیابه قائلا:

ان هذا قد قال ما سمعتم، و خلع صاحبه، ألا و أنی قد خلعت صاحبه کما خلعه، و اثبت صاحبی معاویة.

فصاح أبوموسی، و قد شعر بالعار:

مالک لا وفقک الله، انما مثلک کثمل الکلب ان تحمل علیه یهلث أو تترکه یلهث.فرد ابن العاص ساخرا:

و مثلک مثل الحمار یحمل اسفارا.

[۱۳۲] الأبل المقصومة الظهر.

[۱۳۳] لو کان یطاع لقصیر أمر» مثل عربی.

[۱۳۴] الشاعردرید بن الصمة.

[۱۳۵] نهج‌البلاغة الخطبة: ۴۰.

[۱۳۶] شدد الامام مرة أخری علی رفضه مسألة التحکیم قائلا:

من دعا الی هذه الحکومة فاقتلوه و لو کان تحت عمامتی هذه، ثم فند شرعة النتائج التی تمخضت عن لقاء دومة الجندل:

الا ـ ان هذین الرجلین الخاطئین اللذین اخترتموهما حکمین قد ترکا حکم الله، و حکما یهوی انفسهما بغیر حجة و لا حق معروف، فاماتا ما أحیان القرآن و احیا ما أماته...»

ثم اصدر أوامره بالاستعداد الاستئناف رحلة الجهاد ضد القاسطین:

فتأهبوا للجهاد و استعدوا للمسیر و اصبحوا فی عساکرکم ان شاء الله / الطبری ۴۳:۶.

[۱۳۷] ارتکب الخوارج جرائم یندی لها جبین لاانسانیة، فلم یکتفوا بقتل الصحابی عبد الله بن خباب فعمدوا الی بقر زوجته و کانت حاملا فقتلوها مع جنین لم یر النور بعد، و قتلواامرأة اخری هی أم سنان الصیداویة.

[۱۳۸] کانت التقاریر قد أفادت بعبور الخوارج الجسر، فقال الامام: مصارعهم دون النطفة (النهر) و الله لایفلت منهم عشرة و لا یهلک منکم عشرة.

[۱۳۹] عندما أراد الامام التحرک صوب «جسر النهروان» جاءه من یدعی العلم بالنجوم فقال: انک ان سرت یا أمیرالمؤمنین فی هذا الوقت، خشیت الا تظفر بمرادک من طریق علم النجوم:

فاجاب الامام مستنکرا:

اتزعم انک تهدی الی الساعة التی من سار فیها صرف عنه السوء؟! تخوف من الساعة التی من سار فیها حاق به الضر؟! فمن صدقک بهذا فقد کذب القرآن و استغنی عن الاستعانة بالله فی نیل المحبوب و دفع المکروه؛ و تبتغی فی قولک للعامل بامرک أن یولیک الحمد دون ربه، لأنک - بزعمک - انت هدیته الی الساعة التی نال فیها النفع و أمن الضر!!! و التفت الامام الی جیشه وهتف: ایهاالناس ایاکم و تعلم النجوم، الا ما یهتدی به فی بر أو بحر، فانها تدعو الی الکهانة؛ و المنجم کالکاهن و الکاهن کالساحر و الساحر

کالکافر و الکافر فی النار؛ سیرا علی اسم الله.

[۱۴۰] بدأ معاویة غاراته بتجرید حملة الی مصر بقیادة عمرو بن العاص، و فی الوقت نفسه تمکن الاثنان من تدبیر محاولة اغتیال ناجحة و تمت تصفیة «الأشتر» و هو فی طریقة لانقاذ مصر؛ و قد حاول محمد بن ابی‌بکر و الی مصر آنذاک الدفاع و لکنه خسر المعرکة و القی القبض علیه فی خربة مجردا من السلاح و قد بلغت وحشیة معاویة بن خدیج انه کان یتفنن فی قتله و ادخل الشاب المؤمن فی جوف حمار ثم اضرمت النار و هو ما یزال یحتضر..ان الحیوان المتوحش یأنف من ارتکاب هذه الفظائع، و قد تألم الامام لمصرعه علی هذا النحو المؤسف قائلا: «کان لی ربیبا و کان الی حبیبا».

[۱۴۱] مع بدایة عام ۳۹ ه بدأ زمن الرعب عندما راح معاویة یشن الغارات التی تستهدف الاذلال و تمریغ الکرامة الاسلامیة فی الأوحال فقد:

- أغار النعمان بن بشیر علی عین تمر.

- و اغار النعمان بن عوف علی هیت و الانبار و المدائن.وقام بعملیات نهب واسعة.

- و اغار عبدالله بن سعد علی تیماء.

- و اغار الضحاک بن قیس علی مناطق عدیدة حددها معاویة، و أمر بقتل کل من یجده فی طاعة علی أمیرالمؤمنین.

- و تأتی غارة بسر بن ارطاة الجلاد المعروف لتشکل ذورة الارهاب، فقد اغار هذا الدموی علی المدینة و أجبر أهلها علی البیعة لمعاویة و هدم بعض الدور فیها، ثم النطلق الی مکة و منها الی الیمن فارتکب مذبحة بحق الابریاء و اهتز الضمیر الانسانی لدی اقدام هذا المتوحش علی قتل طفلین صغیرین لالذنب سوی انهما ابنا عبیدالله ابن‌عباس، کما عرض الفتیات المسلمت للبیع فی الأسواق / الطبری ۶:۸۱.

[۱۴۲] طعنه الامام فی نتائج التحکیم، انطلاقا من حیثیات الحکم ترک الحکمین للقرآن القاعدة الأساس فی مسألة التحکیم نفسها یقول الامام: فلما ابیتم الا الکتاب اشترطت علی الحکمین أن یحییا ما احیا القرآن و أن یمیتا ما أمات القرآن فان حکما بحکم القرآن فلیس لنا أن نخالف حکما یحکم بما فی القرآن، و أن أبیا فنحن من حکمها براء.

[۱۴۳] حرس الحدود.

[۱۴۴] الذمیة.

[۱۴۵] جرح.

[۱۴۶] النخیلة منطقة تحشد عسکریة خارج الکوفة..و الحادثة مسجلة فی نهج‌البلاغة.ک ۲۶۱.

[۱۴۷] عن سیدنا محمد صلی الله علیه وآله انه قال لعلی: «ان الامة ستغدر بک بعدی» / کنزل العمال ۲۹۷: ۱۱.

[۱۴۸] آخر خطابات أمیرالمؤمنین علیه‌السلام.

[۱۴۹] اشارة الی الفقرة الأخیرة من الخطاب.

[۱۵۰] بدأت الاستعدادات الحربیة للعودة الی صفین..و تحرکت الفراق العسکریة باتجاه «النخیلة» منطقة التحشد...حیث غادر الحسین علیه‌السلام الکوفة علی رأس عشرة الاف مقالت، و أعقبه قیس بن سعد علی رأس عشرة آلاف، و تلاهما أبوأیوب الانصاری علی عشرة آلاف مقاتل أیضا.

[۱۵۱] کان یردد: انما هی لیال قلائل، و احب أن یأتی أمر الله و أنا خمیص.

[۱۵۲] الاعوجاج و الخصام.

[۱۵۳] تصدی الامام بحزم الی الذین جعلوه الها، من دون الله! انه الجنون البشری الذی لم یتحمل وجود الانسان المثال فرفعه الی مصاف الا له!.

[۱۵۴] نهج‌البلاغة: ۱۸۷.

[۱۵۵] ظل قبر الامام مجهولا حوالی قرن و نصف.

[۱۵۶] فی عام ۲۵۵ ه اندلعت ثورة الزنوج فی البصرة، و کان هؤلاء قد جلبوا من شرق افریقیا لاستصلاح الاراضی الزراعیة فی الأهوار جنوب العراق، و قد استمرت ثورتهم حتی سنة ۲۷۰ و خلال هذه الفترة التی تمتد الی ۱۵ عاما وقعت عشرا المذابح و راح ضحیتها مئات الآلاف من الناس.

[۱۵۷] تذکر بعض المصادر التاریخیة انه وجد لوح خشبی علیه کتابات تعود الی لغة شعب عاش قبل الطوفان.

[۱۵۸] کنز العمال ۶۹۳: ۱۳.

[۱۵۹] قال نوف البکالی: «و عقد للحسین علیه‌السلام فی عشرة آلاف، و لقیس بن سعد فی عشرة آلاف و لأبی أیوب الأنصاری فی عشرة آلاف، و لغیرهم علی أعداد أخر و هو یرید الرجمة الی صفین..فما دارت الجمعة حتی ضربه الملعون ابن‌ملجم لعنه الله، فتراجعت العساکر، فکنا کأغنام فقدت راعیها، تتخطفها الذئاب من کل مکان..» / نهج‌البلاغة - هامش الخطبة: ۱۸۲.

[۱۶۰] الاصابة: ۱:۳۳۰، مسند أحمد: ۴۴:۵.

[۱۶۱] باقر شریف القرشی: ۲: ۵۸-۵۷ راجع الملحق رقم (۱).

[۱۶۲] یقول معاویة فی وصف خصومه العراقیین: و «والله ما ذکرت عیونهم تحت المغافر بصفین الا لبس علی عقلی» المسعودی هامش ابن الاثیر: ۶۷:۶.

[۱۶۳] شرح النهج لابن أبی الحدید: ۴: ۷۲، ۱۳، ۵.

[۱۶۴] الملحق رقم (۲).

[۱۶۵] المصدر السابق.

[۱۶۶] المصدر نفسه.

[۱۶۷] السیوطی فی تاریخ الخلفاء: ۱۵۶.

[۱۶۸] ابن بکار، الموفقیات: ۲۵۰.

[۱۶۹] ابن سعد الطبقات: ۵۳:۳.

[۱۷۰] المصدر نفسه: ۹۶.

[۱۷۱] الطبری: ۳۹۸:۴.

[۱۷۲] البلاذری، انساب الاشراف: ۲۶:۵.

[۱۷۳] الطبری: ۲۸۹:۴.

[۱۷۴] المصدر السابق: ۳۶۲.

[۱۷۵] الیعقوبی، تاریخ الیعقوبی: ۱۵۶:۲.

[۱۷۶] السرخسی، المبسوط: ۱۶۹:۲.

[۱۷۷] الطبری المصدر نفسه: ۳۶۱:۴.

[۱۷۸] الزبیر بن بکار، الاخبار الموفقیات، ۳۳۵.

[۱۷۹] باقر شریف: ۶۳:۲.

[۱۸۰] المصدر السابق.

[۱۸۱] باقر شریف: المصدر السابق: ۶۸.

[۱۸۲] شرح النهج: ۱۳:۴.

[۱۸۳] معجم البلدان: ۲۷۶:۸.

[۱۸۴] شرح النهج: ۱۴:۴.

[۱۸۵] قیس بن سعد و سعید بن قیس.

[۱۸۶] باقر شریف القرشی، المصدر نفسه، ۷۴:۲.

[۱۸۷] شرح النهج: ۱۵:۴.

[۱۸۸] المصدر السابق: ۲۸:۴.

[۱۸۹] باقر شریف: ۱۴۴:۲، مقاتل الطالبیین: ۳۵.

[۱۹۰] باقر شریف: ۱۴۴:۲، مقاتل الطالبیین: ۳۵.

[۱۹۱] الشیخ المفید، الارشاد، ۷۱۰.

[۱۹۲] البحار: ۱۱۴:۱۰.

[۱۹۳] الیعقوبی: ۱۹۱:۲.

[۱۹۴] المصدر السابق.

[۱۹۵] الطبری: ۹۲:۶.

[۱۹۶] الاصابة: ۱۲:۲.

[۱۹۷] ینابیع المودة: ۲۹۲.

[۱۹۸] الیعقوبی:۱۹۱:۲.

[۱۹۹] باقر شریف المصدر نفسه: ۲: ۱۰۷ – ۱۰۶.

[۲۰۰] الارشاد: ۱۷۰.

[۲۰۱] الفصول المهمة: ۱۲۵ (الملحق رقم ۳).

[۲۰۲] آل یاسین، صالح الحسین: ۲۸۵ الهامش.

[۲۰۳] شرح النهج: ۱۶:۴.

[۲۰۴] مناقب ابن شهر آشوب: ۱۶۹:۲.

[۲۰۵] الدینوری الاخبار الطوال: ۲۰۳.

[۲۰۶] شرح بن أبی الحدید: ۶:۴.

[۲۰۷] راجع المحلق (۴).

[۲۰۸] دیر هند یقع قریبا من الحیرة عاصمة المناذرة و هند هی بنت النعمان بن المنذر اختارت أن تکون راهبة فیه.

[۲۰۹] یس: آیة ۷۰.

[۲۱۰] أنعم له: أی قال له نعم.

[۲۱۱] النصف: الانصاف.

[۲۱۲] راغمهم: نابذهم و عاداهم.

[۲۱۳] الأحزاب: هی التی تحزبت علی قتال رسول‌الله صلی الله علیه وآله وسلم من قریش و غطفان و بنی‌مرة و بنی‌أشجع و بنی‌سلیم و بنی‌أسد فی غزوة الأحزاب و هی غزوة الخندق و کان قائدهم العام أباسفیان و ذلک فی السنة الخامسة من الهجرة.

[۲۱۴] آب الی الله رجع عن ذنبه و تاب فهو أواب مبالغة.

[۲۱۵] النائرة: العداوة و البغضاء.

[۲۱۶] شرح ابن أبی الحدید: ۱۲:۴.

[۲۱۷] الحجی: العقل و الفطنة.

[۲۱۸] لم آس: ای لم أحزن و ذکر ابن کثیر فی البدایة و النهایة أن معاویة أظهر الحزن و الأسی و لاتوجع بمقتل الامام أقول:

أولا: لایتفق مع ما ذکره معاویة من عدم حزنه بموت الامام.

و ثانیا: انه لایتفق مع سیرة معاویة و عدائه السافر للامام الذی جعل سبه فریضة من فرائض الاسلام و تتبع شیعه و اصحابه فقتلهم تحت کل حجر و مدر.

[۲۱۹] أعشی بنی قیس: هو الأعشی الکبیر اسمه (میمون) بن قیس ولد بقریة بالیمامة یقال لها منفوحة و فیها داره و قبره یو قال انه کان نصرانیا و هو أول من سأل بشعره: وفد الی مکة یرید النبی صلی الله علیه وآله وسلم و قد مدحه بقصیدة أولها:

ألم تغتمض عیناک لیلة أرمدا

و بت کما بات السلیم مسهدا

و منها:

أجدک لم تسمع و صاة محمد

نبی الا له حین أوصی و أشهدا

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقی

و لاقیت بعد لاموت من قد تزودا

ندمت علی ألا تکون کمثله

و أنک لم ترصد بما کان أرصدا

فلقیه أبو سفیان فی الطریق فأخبره بقصته فجمع له مائة من الابل ورده عن قصده فلما صار بقاع منفوخة رمی به بعیره فقتله و من شعره:

قد یترک الدهر فی خلقاء راسیة

و هیا و ینزل منها الأعصم الصدعا

و کان شیء الی شیء ففرقه

دهر تعود علی تفریق ما جمعا

الخلقاء: لاصخرة الثابتة.

الأعصم: الذی فی یده بیاض.الصدع.الفتی من الوعول جاء ذلک فی معجم الشعراء للمرزبانی (ج ۲ ص ۴۰۱).

[۲۲۰] مزبد: مشتق من أزبد البحر ازبادا فهو مزبد (بالتحریک) و هو کالرغوة.الاکام: جمع أکمة کقصبة و هی التل.

[۲۲۱] البدور: جمع مفرده بدرة کوردة و هی کیس فیه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دینار.

[۲۲۲] الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۱۴۵، کشف الغمة للأربلی ص ۱۷۰.

[۲۲۳] الظنین: المتهم.و یروی (و استر من الظنین ذنبه بما لایثلم دینک).

[۲۲۴] و فی روایة (و استعمل) و فی أخری (و وال).

[۲۲۵] وفی روایة (تدعو).

[۲۲۶] الحرب خدعة: مثلثة الخاء، و بضمهان مع فتح الدال أی تنقضی بخدعة.

[۲۲۷] آسى: أى سوى.

[۲۲۸] خسفا: اى ذلا.

[۲۲۹] شرح ابن أبى الحديد: ۸:۴، رسائل جمهرة العرب: ۱:۲.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنايۀ "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹